

دراسات في تاريخ آسيا الحديث :

تجارة الأسلحة في غرب آسيا

(فارس — أفغانستان — الخليج العربي)

(١٩١٠ - ١٩١٣)

دكتور جاد محمد طه

لقد كان لتجارة الأسلحة في غرب آسيا في السنوات الخمس التي سبقت الحرب العالمية الأولى تأثيرات خطيرة على الدول القائمة بهذه التجارة وعلى الموقف الدولي بصفة عامة .

وإبان المنافسة البريطانية الفرنسية في مناطق الخليج العربي ، عمدت فرنسا إلى إقامة تجارة رائجة في الأسلحة والذخائر في المنطقة . وكانت معظم الأسلحة والذخائر تصدر من ميناء جيوتي الخاضع للفرنسيين ، حيث يحمها التجار إلى الخليج العربي ومن هناك كانت تصدر إلى ساحل بلوخرستان وفارس ثم إلى أفغانستان ومقاطعات وسط آسيا ، مما أدى إلى حدوث اضطرابات على الحدود الشمالية الغربية للهند^(١) .

وقد ضغطت بريطانيا على دول غرب آسيا لمنع هذه التجارة في أراضيها ، ونتيجة لذلك أصدر شاه فارس أمراً إمبراطورياً في عام ١٨٨١ ، ثم أكد بقانون في عام ١٩٠٠ منحت بمقتضاه السفن الحربية البريطانية الحق في الاستيلاء على الأسلحة المنقولة إلى اللوائي الفارسية^(٢) . كما عقدت الاتفاقات التي تحرم هذه التجارة مع شيوخ البحرين (١٨٩٨) والكويت (١٩٠٠) وشيوخ الساحل المهادن (١٩٠٢) .

P. Harrison, The Arab at Home, p. 96.

(١)

India Office Library, Political Dept., B. 182, Arms Traffic at Muscat, 15 Feb. 1911.

(٢)

أما قطر فكانت الاستثناء الوحيد من القاعدة العامة لمنع التجارة في الأسلحة في حدود الخليج العربي غربي رأس موسا نديم .

وفي عام ١٨٩٨ ، وافق سلطان مسقط على منع تصدير الأسلحة من أراضي إلى الهند وفارس ، ومنح السفن البريطانية السلطة في تحقيق هذا المنع .

إلا أن استيراد الأسلحة إلى مسقط ثم تصديرها إلى جهات أخرى غير الهند وفارس ظل دون ضابط ، وكانت النتيجة أن أصبحت مسقط هي السوق الرئيسية للأسلحة في كل منطقة غربي آسيا ووسطها^(١) .

وكان أهم طريق لتوزيع الأسلحة هو الطريق الذي يبدأ من مسقط إلى ساحل مكران في فارس ثم إلى أفغانستان والحدود الشمالية الغربية للهند — كما ذكرنا — إلا أنه نتيجة للنشاط البحري البريطاني ، فإن هذا الطريق أصبح غير مأمون ، ومن ثم بدأت تجارة الأسلحة تتخذ طريقها إلى قطر ثم عبرها إلى ساحل لارستان الفارسي . وقد أبدت السلطات الفارسية عـدم قدرتها على منع هذه التجارة في أراضيها . ولا شك أن توزيع الأسلحة الحديثة عبر المناطق الواقعة على الحد الشمالي الغربي للهند كان في حد ذاته أمراً خطيراً بالنسبة لبريطانيا . وقد حاولت الحكومة البريطانية مراراً القضاء على تجارة الأسلحة في غربي آسيا حرصاً منها على مصالحها في الهند ، إلا أنه كان واضحاً تماماً أن هذا لن يتأني إلا بالمنع الكامل لهذه التجارة في مسقط .

وفي مؤتمر بروكسل للأسلحة (١٩٠٨ - ١٩٠٩)^(٢) ، أعلنت كل من الولايات المتحدة وهولندا أنهما مستعدتان للتنازل عن حقوقها بالنسبة لتجارة الأسلحة إذا ما سلكت القوى الأخرى — إنجلترا وفرنسا — نفس السبيل ، إلا أن فرنسا عرضت كل الجهود ، وفي نهاية ديسمبر ١٩٠٩ ، انتهى المؤتمر دون اتخاذ قرار

(١) India Office Library, Political and Secret Library, Political Department, B. 196, Memorandum, Arms Traffic in the Persian Gulf, D.T.M., 20 Feb. 1913, p. 3.

(٢) Philip Graves. The Life of Sir Percy Cox, London, p. 142.

بالنسبة لتجارة الأسلحة في مسقط^(١) .

ونتيجة لفشل مؤتمر بروكسل في اتخاذ قرارات لمنع تجارة الأسلحة في مناطق النفوذ البريطانية ، قررت حكومة لندن فرض حصار بحري على سواحل الخليج لتنفيذ منع تجارة الأسلحة بالقوة . وقد صادف الأسطول المسكف بالحصار بعض النجاح ، فهو وإن لم يكن في إمكانه القضاء على هذه التجارة ، فإنه تمكن من الحد منها إلى درجة كبيرة^(٢) .

إلا أن عمليات الحصار البحري كانت تتكلف مبالغ طائلة حتى إنه كان من المتوقع منذ أول الأمر أنها إجراء مؤقت الى حين عقد اتفاق دائم مع فرنسا لمنع هذه التجارة .

موقف أفغانستان وفارس من تجارة الأسلحة :

لقد اقترحت حكومة الهند استمرار الحصار حتى ديسمبر سنة ١٩١٠ ، وقد وافقت وزارة الخارجية البريطانية على ذلك في ٢٦ سبتمبر ١٩١٠ بعد أن أشارت إلى أنه « ليست هناك ترتيبات مقبولة مع فرنسا بالنسبة لمسقط حتى الآن » .

وقد بزغت مسألة مرتبطتان بالحصار خلال صيف ١٩١٠ ، الأولى بالنسبة لأحقية بريطانيا في الإستيلاء على الأسلحة التي تصل إلى الأراضي الفارسية ، والثانية بالنسبة للسفن التي تحملها وهي ترفع العلم الفرنسي ، ولقد طلبت حكومة الهند من قائد الأسطول أن يبدى وجهات نظره بالنسبة لهذه المسألة وقد أوضح الأدميرال سلايد SLADE في ٢٥ يوليو ١٩١٠ أن « المسألة لها وجهان : فعندما تكون الأسلحة المشحونة مملوكة لرعايا فرنسيين ، فإن هؤلاء لهم مطلق الحرية في نقلها ، كما أن لفرنسا الاحتجاج على أي إجراء بريطاني قد يؤثر على ثروات مملوكة لرعايا

(١) India Office Library, Political and Secret Library, Political Department, B. 196, Memorandum Arms Traffic in the Persian Gulf, D.T.M., 20 Feb. 1913, p. 4.

(٢) I.O.L., Pol. Dep., B. 182, Arms Traffic at Muscat, 15 Feb. 1911.

فرنسيين « أما الوجه الآخر فهو أن تكون الأسلحة مملوكة لتجار الأسلحة الوطنيين والذين نقلوها على سفن ترفع العلم الفرنسي بهدف تلافى تدخل السفن الحربية البريطانية ، وفي هذه الحالة الثانية فإن الأدميرال يعتقد بأن فرنسا لا يمكن بأى شكل من الأشكال وبأى تفسير محتمل للقانون الدول أن تطالب بأن يسود مبدأ أن « العلم يعطى البضائع » إذا ما تم نقلها من السفن التي ترفع علمها .

وأضاف الأدميرال أنه إذا ما تم نقل شحنات الأسلحة إلى الأفغانيين أو ممثلهم فإن حماية العلم الفرنسي لها تكون قد انتهت ، وإذا لم يكن الأمر كذلك فإنه « لن يمكننا أن نمس أى سلاح سواء على الساحل أم بعيداً إلى الداخل » .

كما أن الأدميرال رأى أنه يجب الإستيلاء على الأسلحة التي تنزل الى الشاطئ من السفن الفرنسية ، كما أبدى وجهة نظره في أنه « اذا اضطرنا الى السماح بنقل الأسلحة على السفن الفرنسية دون التعرض لها ، فإن كل التجارة سوف تسلك نفس الطريق دون استطاعتنا ايقافها ، وأن كل الأموال التي تنفق في هذا السبيل سوف تذهب هباء .

والواقع أنه إذا لم يتم الانجليز بالاستيلاء على الأسلحة المنقولة إلى الأراضي الفارسية فإنهم لن يستطيعوا منع الأفغانيين من نقل الأسلحة تحت سمعهم وبصرهم ولا شك أن هذا الإجراء — إذا ما حدث يمس الهيبة البريطانية في الخليج ، ويظهر أن فرنسا هي القوة الأعظم (١) .

وبرجع استخدام رعايا سلطان مسقط للأعلام الفرنسية إلى عام ١٨٦٠ (٢) ، وفي ١٨٩١ جاءت التقارير من حكومة بومباي ومن المقيم في الخليج العربي بأن القناصل الفرنسيين في عدن وأبوك وزنجبار قد منحوا في مناسبات عديدة أوراقاً ، وأعلاماً فرنسية للقوارب الوطنية المملوكة لبعض رعايا سلطان مسقط . وبعد نقل المسألة إلى الحكومة البريطانية بوقت قصير ، جاء تقرير آخر من المقيم في بوشهر

(١) India Office Library, Political Dep., B. 196, Secret Memo., Arms Traffic in the Persian Gulf, D.T.M., 20 Feb. 1910.

(٢) Grant of French Flags to Muscat Dhows. I.O.L., Pol. and Secret Dep., B. 134, Confidential. Memo.

يشير إلى أن سلطان مسقط اقترح بنفسه أن يرسل إلى الحكومة الفرنسية معترضاً إرسال أعلام وأوراق فرنسية للقوارب المملوكة لآلته (١). وقد أوضح السلطان أن السبب الوحيد الذي جعل ملاك القوارب يطلبون الحماية الفرنسية هو حق يمكنهم ممارسة عمليات تجارة الرقيق دون رقابة من السفن البريطانية (٢)، وبينما رأت حكومة الهند أنه من غير المرغوب فيه أن يقدم السلطان احتجاجه مباشرة إلى الحكومة الفرنسية، فإنها أبلغت المقيم بأن عليه أن يبلغ السلطان بأنه «لديه السلطة المطلقة لمعاقبة رعاياه الذين يخرجون على قوانين بلاده إذا حملوا أية أعلام أو أوراق فرنسية، وأن السلطان يمكنه اتخاذ أية خطوات يراها ضرورية لتدعيم سيادته في مياهه الإقليمية بالنسبة لرعاياه الذين يحملون أعلاماً فرنسية».

وقد أبلغ وزير الدولة هذه المعلومات إلى وزير الخارجية، وقد استنكرت الحكومة الفرنسية هذا العمل من جانب القنصل الفرنسي في عدن، وأعطت تأكيدات بعدم تكرار ذلك مرة أخرى (٣). وإن كان من المفهوم أن القنصل الفرنسي يعمل بتعليمات من حكومته، وأن هذا الاستنكار لتصرفاته هو للتخلص من هذا الموقف.

وعلى أية حال فقد استمر استخدام رعايا سلطان مسقط للأعلام الفرنسية على قواربهم لتتلافى تفتيش السفن البريطانية لهذه السفن عند نقلها للرقيق أو للأسلحة (٤).

التدخل البريطاني في فارس :

لقد ثار جدل كبير حول أحقية بريطانيا في الإستيلاء على الأسلحة في الأراضي

(١) I.O.L., Pol. and Secret Department, B. 135, Enclosure No. 14, Memo. on the use of the French Flags by Subjects of the Sultan of Muscat, 17 May 1900.

(٢) I.O.L., Pol. and Secret Dep., B. 143, Confidential Memo. Grant of French Flags to Muscat Dhows.

(٣) I.O.L., Political and Secret Dep., B. 135, Enclosure No. 14, Memo. on the use of the French Flags by Subjects of the Sultan of Muscat, 17 May 1900.

(٤) J.J. Berreby, Le Golfe Persique, p. 185.

الفارسية ... وقد رأى مورلى Viscount Morley أن الإستيلاء على الأسلحة في الأراضي الفارسية سوف يثير مشكلات مع الحكومة الفرنسية ... إلا أنه يبدو أنه لن تكون هناك معارضة إذا تم الاستيلاء على الأسلحة قرب الحدود الأفغانية.

وقد تمت استشارة السير بارسلى G. Barclay النوزير البريطانى المفوض في طهران بالنسبة لهذه النقطة ، وقد أوضح الوزير بأنه يعتقد بأن الحق في الاعتراض ضد استيلاء البريطانيين على الأسلحة من الأفغانيين في الأراضي الفارسية هو حق فقط للحكومة الفارسية .

وفي ١٣ سبتمبر ١٩١٠ أصدر الأدميرال سلبيد Slade تعليماته لقواته بأنه إذا ما ظهرت إحدى السفن وعليها أعلام فرنسية ، فإنه يجب تتبعها والاستيلاء على الأسلحة التي تحملها بمجرد انتقالها إلى التجار الأفغانيين على الساحل (١) .

وقد نقل قرار الحكومة البريطانية إلى حكومة الهند « بأنه لا يعد كافياً الاستيلاء على الأسلحة بمجرد إنزالها من السفن الفرنسية على الساحل ، لأن الحصار البحري بهذا الوضع يتعرض للفشل » (٢) .

وبالنسبة للساحل المهادن ، فقد أشار كوكس Lieutenant-Colonel Cox إلى أنه بينما لم يأت ذكر « لأحقيتنا في التفتيش على سواحلهم ، فإن انشيوخ سوف يندشون إذا ما طلبنا منهم ذلك ، لأن انفسن البريطانية في الواقع قد مارست هذا الحق ، ولم يحتج الشيوخ بالنسبة لذلك » (٣) .

وقد تمسكت حكومة الهند بأنه يجب اعتبار « سواحل المحميات كسواحل القوى صاحبة الحماية » إلا أن الحكومة البريطانية رأت عدم تعميم هذه القاعدة ، وأنه من

I.O.L., P.D., B. 196, Secret, India Office to Foreign Office, (١)
8 Sept. 1910.

I.O.L., P.D., B. 196, Secret, Viscount Morley's Telegram, (٢)
3 Oct. 1910.

I.O.L., P.D., B. 196, Secret, L.C. Cox to Governor of India, (٣)
22 Oct. 1910.

الأفضل معاملة كل حالة طبقاً للموقف وكعالة منفصلة ، ويجب أن يكون الشيوخ المهادنون مقتنعين بحقنا في التفتيش على سواحلهم وأن يستمر العمل طبقاً لذلك» (١).

ولا شك أن حكومة الهند كانت مقتنعة بأهمية الحصار البحري بالنسبة لإيقاف تجارة الأسلحة في الخليج ، ولتدعيم الحصار ، أوصت هذه الحكومة بإنشاء ثلاث محطات لاسلكي في دبي والبحرين وبوشهر ، وطبقاً لما أشار به الكولونيل كوكس — الذي وضع تقديراته على دخول بندر عباس — فإنه كان من المتوقع « أن المواقع الاستراتيجية الهامة للمحطات الثلاث سوف تنقص من تكاليف الحصار وذلك بإنقاص عدد الزوارق المستخدمة فيه » (٢).

إلا أن الأدميرال سليلد لم يؤكد هذا التصور ، ولكنه حث على الرغبة في إقامة المحطات ، لأنه في الحريف التالي « سوف تزداد تجارة الأسلحة في الخليج ازدهاراً نتيجة لنقل القاعدة البحرية من مسقط ، وأن محطات اللاسلكي الإضافية الثلاث سوف تعوض عن نقص القوة في الاتصالات نتيجة تغيير القاعدة » (٣).

أما بالنسبة لمحطة اللاسلكي في بوشهر ، فقد ثار تساؤل عما إذا كانت موافقة الحكومة الفارسية لازمة لإقامتها ، إلا أنه أمكن تلافى ذلك استناداً إلى حالة مشابهة في جاسك Jask حيث أقيمت المحطة داخل حدود محطة البرق الهندوأوربية « ويمكن إبلاغ الحكومة الفارسية رسمياً بذلك لأنه عليها حماية هذه المحطة » (٤).

وفي الثالث من أكتوبر أبرقت حكومة الهند بأنه مادامت المحطات الثلاث لا يمكن أن تعمل قبل مارس ١٩١١ ، فإنه تقرر تأجيل الموضوع كله .

وإذا كانت حكومة الهند قد استبعدت إقامة محطات اللاسلكي لتدعيم الحصار

I.O.L., P.D., B. 196, Secret, F.O. to I.O., 17 Dec. 1910. (١)

I.O.L., P.D., B. 196, Secret, L.C. Cox to Governor of India, 24 June 1910. (٢)

I.O.L., P.D., B. 196, Secret, Persian conselnt not needed, India, 19 June 1910. (٣)

I.O.L., P.D., B. 196, Secret, Admiral Slade to Governor of (٤)
Memo. by Mr. Kirk, Director in Chief Indo-European Telegraph Department, 7 July 1910.

فإنها اقترحت — لزيادة فاعلية الحصار — زيادة التحركات والداوريات التي تستمر ليومين أو ثلاثة على أن تكون الداورية من أعداد ملائمة من حامية جاسك Jask وعلى أن يكون واجب هذه الداوريات الحصول على المعلومات بالنسبة لطرق القوافل من الساحل إلى الداخل (١) .

ضعف الحكومة الفارسية :

بيننا وافق وزير الدولة على الاقتراح السابق ، فإنه أشار أيضاً الى أنه إذا ممكن استخدام القوات البريطانية على الأرض الفارسية ، فإن تأثيرها سيكون أكثر فاعلية لأنها تكون أقرب الى الحدود الأفغانية وحيث تتجه الطرق من ساحل الخليج « ... وقوة صغيرة ولكن مؤثرة جداً » تعمل في روبات Robat يمكنها بسهولة قطع قوافل الأسلحة عند عودتها إلى أفغانستان » (٢) .

إلا أن حكومة الهند — لعدة اعتبارات — رأت أن وضع قوة صغيرة مؤثرة في روبات سوف لا يكون لها التأثير المطلوب نتيجة للصعوبات في الحصول على الإبل (٣) ، وكذلك للحاجة الى وقت طويل لتنفيذ الترتيبات اللازمة لتحقيق ذلك ، وكذلك للاعتراضات المتوقعة نتيجة لوضع قوة ضاربة على الحدود الأفغانية وحيث لا توجد حدود مشتركة مع الهند (٤) . والواقع أن الحكومة الفارسية كانت في حالة شديدة من الضعف بعد الحروب الداخلية العديدة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، وخاصة محاولة فتح إقليم هرات في عهد الملك محمد شاه ثم اضطرابها إلى سحب قواتها من هرات في عهد ناصر الدين شاه نتيجة للضغط البريطاني ، واستيلاء الانجليز على

Telegram from Viceroy, 1018/10, 16 July 1910, B. 196. (١)

(٢) انظر :

Viscount Morley's Telegram, 30 July 1910, I.O.L., P.D., B. 196, Secret.

(٣) انظر :

Gov. of India to Secretary of State, 29 Nov. 1910, I.O.L., B. 196, p. 6.

(٤) انظر :

Gov. of India to Admiral Slade, 24 Nov. 1910, I.O.L., B. 196, p. 5.

بوشهر إلى أن نجح قرخ خان أمين الملك كاشاني (ولقب بعد ذلك باسم أمين الدولة والذي كان سفيراً لفارس في فرنسا) بمباحثات مع سفير إنجلترا في فرنسا ، وعقد معاهدة بين الدولتين وتقرر انسحاب القوات الانجليزية من موانئ فارس بشرط أن ينسحب الفرس من هرات ، وأن تصرف الحكومة الفارسية النظر عن كل ادعاءاتها في هرات وكل أفغانستان ، ولا تطلب من رؤساء وحكام تلك الأقاليم أية مطالب مثل سك العملة وخطبة الجمعة ، وأن تتجنب التدخل في أمور أفغانستان الداخلية وأن تعترف باستقلال هرات وكل أفغانستان .

والخلاصة أن سحب حكومة فارس لقواتها من هرات سبب لها خسائر فادحة في الأفراد والأموال (١) .

أما بالنسبة لتجارة الأسلحة في فارس ، فقد صدر مرسوم بتحريم استيراد الأسلحة إلى فارس سنة ١٨٨١ . وفي عام ١٩٠٠ حوات الحكومة الفارسية السفن البريطانية سلطة القبض على السفن التي تحمل الأسلحة إلى الموانئ الفارسية ومصادرة شحناتها (٢) .

ورغم ذلك فقد تدفقت الأسلحة في الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر على وقد سببت هذه الأسلحة الكثير من القلق للسلطات الفارسية ، إذ خشيت تلك السلطات من مغبة استخدام القبائل الفارسية لتلك الأسلحة في رفع راية العصيان والخروج عن سلطة الحكومة (٣) . وكانت هذه الأسلحة تهرب عبر مسقط إلى ساحل مكران الفارسي ، ومن هناك تحملها القوافل الأفغانية حيث تصل أخيراً إلى القبائل الأفغانية والحدود الشمالية الغربية للهند ، وبدأت السلطات الفارسية عاجزة تماماً عن قمع هذه التجارة في الأراضي الفارسية (٤) .

(١) عبدالله رازی (همدان) — أزمينة باستانی تاسال ١٣١٦ شمس هجری (بك نقشة لـ ایران قدیم و ٩٤ کروار) .

(٢) I.O.L. Pol. Dep., B. 182, Arms Traffic at Muscat I.O., 15 Feb. 1911.

(٣) Richard Coke, The Heart of the Middle East, p. 136.

(٤) I.O.L. Pol. Dep., B. 182, Arms Traffic at Muscat, I.O., 15 Feb. 1911.

وظهر أنه من الضروري — من وجهة النظر البريطانية — وضع خطة فعالة للسيطرة على المنطقة الداخلية ، وذلك نتيجة لنشاط الأفغانيين ، وخاصة في صيف عام ١٩١٠ عندما لم تقم السلطات الفارسية بالمجهودات اللازمة لقمع هذه التجارة . وفي خلال شهر يونيو ١٩١٠ ، تقدمت قوافل ضخمة تحمل شحنات الأسلحة من الساحل وعبر إقليم مسستان ، كما تقدم تاجر الأسلحة محمد خير في ٤ يونيو عبر إقليم جردى Girdi ومعه قافلة من ٥٠٠ - ٦٠٠ رجل معظمها يحمل بالأسلحة . وبعد ذلك بثلاثة أسابيع وصات قافلتان كبيرتان إلى Big و اشتركتا في إتلاف خط البرق بين جرجه Geregen وبالوخ ، ونهبتا لمبنى بريد مسستان . ولم تبذل السلطات الفارسية أية محاولة فعالية لقمع هذه الأعمال العدوانية من جانب هذه القوافل .

ورأت حكومة الهند أنه يجب تقديم احتجاج إلى الحكومة الفارسية نتيجة للخسائر التي حدثت في ممتلكات الحكومة وخط البرق ، وقد وافقت حكومة لندن على ذلك وإن كان من المفهوم أن هذا الإجراء ليست له أية قيمة ، واعتبرت أن تقديم هذا الاحتجاج هو مسألة مبدأ ليس إلا (١) .

ونتيجة لتحركات الأفغانيين واتجاههم العنيف ، فإن حكومة الهند لم يعد لديها أي شك بالنسبة لأهمية سحب القوة المرابطة في روبات Robat أثناء الفصل الحار فقد خشيت من اتجاه الأفغانيين إلى إعادة العمليات في الحريف بينما القوة لا زالت في روبات . إلا أن المقيم في الخليج العربي كان يعتقد بأنه يجب سحب القوة بمجرد أن تصل آخر قافلة أفغانية إلى بلادها ، وأنه يجب عدم إعادة القوة إلى روبات إلا بعد يناير ١٩١١ كما رأى بأن الأفغانيين الذين أصابهم خسائر فادحة وتأخروا كثيراً في عودتهم من الخليج لن يكونوا مستعدين لإعادة العمليات قبل فترة من الوقت .

وفي يوليو ١٩١٠ أنقصت كل من حامية جاسك Jask وشاربر Charbar

Telegram from Governor of India, 7th July 1910.

(١)

لانسحاب الأفغانين من الساحل^(١).

تجارة الأسلحة في باريس :

لقد انغمس بعض الحكام في فارس في تجارة الأسلحة ، وقد كان مير بركات خان حاكم إقليم بيابان Biyaban على علاقات وثيقة بتجار الأسلحة الأفغانين وفي مارس ١٩١٠ اعتقله داريا Darya Bagl — وهو أحد عملاء الإنجليز — واقترح أن يحدد إقامة بركات في كوتا Qutta أو روبات على أن يمنح إعانة مالية ، ولم يوافق ممثل الحاكم العام للهند في بلوخستان على ذلك لأنه رأى أنه يمكن للسجين أن يهرب إلى أفغانستان ثم العودة إلى مكران بمعاونة تجار الأسلحة الأفغانين . ثم قدم اقتراح آخر بأن تكون بغداد محلاً لإقامته ، لا أن هذا الاقتراح رفض أيضاً .

وفي يوليو ١٩١٠ أصدرت حكومة الهند تعليماتها إلى المقيم السياسي بتسليم بركات إلى السلطات الفارسية مع التنبيه عليها بالمحافظة على حياته . وقد أختيرت بوشهر كمكان لإقامته .

وفي غضون ذلك الوقت ، ورغم اعتقال مير بركات ونفيه فإن إقليم جاسك سادته اضطرابات كثيرة ، وتقدم مصطفى خان على رأس قوة لإعادة بركات بالقوة .

ومع نهاية أغسطس هرب مير بركات من بوشهر واتخذ طريقة عائداً إلى ساحل بيابان حيث وجد خلفاؤه وهم يقومون بالإغارات والقتال ، وقد أشار السكولونيل كوكس إلى أن السلطات الفارسية بدت عاجزة تماماً عن التدخل لقمع الاضطرابات ، واقترح كحل للمسألة أن تقوم القوات البريطانية بالتدخل . ومع نهاية سبتمبر اقترح كوكس على الأدميرال سليد Slade دفع قوة بريطانية في المنطقة شمالي جاسك للقضاء على جماعة مير بركات^(٢) ولا شك أن هذا الإجراء يعد مظهرأ جديداً

(١) Lieutenant-Colonel Cox to Governor of India, 25th July 1910.

I.O.L., B. 196, p. 7.

انظر :

(٢) Lieutenant-Colonel Cox to Governor of India, 27th Sept. 1910.

I.O.L., B. 196, p. 7.

انظر :

لنظام الحصار ، والواقع أن دفع جملة برية يختلف كثيراً عن الأعمال السابقة ، ويرجع ذلك بصفة مباشرة الى الاضطرابات والقلاقل التي أثارها ميربركات وجماعته والأفغانيون في الأقاليم الداخلية .

وفي ٢ ديسمبر ١٩١٠ عرض الأدميرال سليد Slade للوقوف بالنسبة للحصار ، والاحتمالات بالنسبة للمستقبل ، وأبدى اعتقاده بأن تدفق الأسلحة قد فشل في اتجاه طريق مسقط — مكران وأن التجار « قد يحاولون الالتفاف حول قواتنا » إلى أعلى الخليج ، وأنه يمكن السيطرة على ذلك بتوسيع دائرة الحصار دون إزاحة القوة البحرية ، ويمكن تدعيم ذلك -- كما سبق القول بإقامة محطات الاسلاك في بوشهر والبحرين ودوى . « ويمكن بذلك التأثير الفعال على التجارة دون الاستعانة بقوات ضخمة ، إذا ما انحصرت العمليات في منع جلب الأسلحة والذخائر إلى فارس عن طريق البحر » .

كما اقترح السير H.Mc. Mohon سياسة أكثر شمولاً « للسمي لتحقيق السلام والهدوء في كل الأقاليم الساحلية في فارس » ، وقد رأى السير أنها السياسة الأكثر فعالية ، لأن « استمرار تجارة الأسلحة متوقفة على استمرار الفوضى في أقاليم الساحل » ومن أجل تحقيق النظام والهدوء ، فإنه يلزم تواجد قوة من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ رجل على مرحلتين . وهذه القوة بينها هي على صلة بالبحر ، فإنه يمكنها السيطرة على الأقاليم حول بندر عباس ووادي ميناب وبنت وجه ، ويمكنها أيضاً تدعيم حراسة الطرق ، وتمطى الحكام المحليين المعاونة ضد الأفغانيين أو المصائب المحلية (١) .

أما بالنسبة لموقف الحكام المحليين في فارس ، فقد توقع الأدميرال سليد بأن إسلام خان سردار بنت وسيد خان سردار جه سوف يقدمان المعاونة المطلوبة لمنع الأفغانيين من الوصول إلى الساحل . وأضاف أنه يمكن تخفيف قوة الحصار البحرية

(١) Naval Commander-in-Chief, East Indies to Governor of India, 4th Dec. 1910.

بعد نهاية مارس سنة ١٩١١ ، إلا أنه حتى ذلك التاريخ « فلا يتصور إمكانية تخفيف قوة الحصار »^(١) .

نشاط الأفغانيين في فارس :

لقد تواترت الأنباء بأن قوة من ٣٠٠٠ أفغانى كانت تتجمع في هرات وتستعد للتقدم إلى مكران . وفي ١١ يناير سنة ١٩١١ وصلت قوة من ١٢٠ أفغانى إلى بامبور ، وقد أمرهم إسلام خان بالانسحاب ، إلا أن موقفه كان ضعيفاً حيث تبين أنهم مستمدين للقتال . وقد منحه الانجليز وعداً بالمعاونة إذا ما جاء الأفغانيون إلى الساحل^(٢) . وكانت هذه القوة الأفغانية الصغيرة هى مقدمة للحشد الأفغانى ، وفي ٢٦ فبراير أبقى الضابط البحرى الأول بأن نحو ٣٠٠٠ أفغانى يقتربون من إقليم كروان في مكران ، وأنهم مسلحون جداً ، وأن الشيء المقلق هو أنهم يحملون كيات ضخمة من الدخيرة .

وقد استنتج الأدميرال أن هذه القوات الأفغانية تنوى القتال بغرض مد نفوذها إلى بلوختان ، وطالب الأدميرال بإجراءات سريعة على أساس الاقتراح السابق بوجوب وضع قوة بريطانية فى المنطقة خصوصاً وأن الحكام المحليين سوف يبذلون ولائهم إلى الجانب الأقوى ، وهو هنا الحشود الأفغانية المسلحة ، وأنه « يلزم لواء من ألفى رجل ومدفعين من المدافع الجبلية »^(٣) .

وقد رفضت حكومة الهند أن تتخذ إجراءات فورية على الأسس التى اقترحتها

(١) Naval Commander-in-Chief, East Indies to Governor of India, 11 Dec. 1910.

I.O.L., B. 196, p. 19. انظر :

(٢) Commander-in-Chief to the Gov. of India, 16th January 1911.
I.O.L., B. 196, p. 19.

(٣) Sir G. Barley to Sir E. Grey, 26th February 1911.

I.O.L., B. 196, p. 19. انظر :

الأدميرال ، لأنه تبين أن الحملة البريطانية سوف تتكلف كثيراً ، وكذلك لأن عملية عسكرية بقوات كبيرة نسبياً في جنوب فارس ، قد تبرر عملية عسكرية أخرى — روسية — في الشمال . وقد أكدت الحكومة البريطانية أهمية هذه النقطة ، وأوصت بأن مسألة مكران يجب أن تعامل بما تستحق ، « لأنه من غير المرغوب فيه حالياً احتلال أراض فارسية »^(١) .

أما المقيم في الخليج فقد أوضح وجهات نظره بالنسبة لاقتراحات الأدميرال : فبالنسبة لسلوك الأفغانين فإنه يعتقد بأن العمليات البحرية لن تكون كافية ، وأنه يجب إزال قوة برية لديها إمكانيات نقل ومؤن كافية للقيام بعمليات حربية لمدة ثلاثة أسابيع على الساحل . كما اقترح تقسيم هذه القوة إلى جناحين : الجناح الغربي ويجب أن يبدأ من جاسك ويتقدم إلى بامبور عبر بنت وفانوخ وجويتير ، بينما يتقدم الجناح الشرقي إلى بامبور أيضاً عبر شارباروجه . وهكذا تتم محاصرة الأفغانين بالمواجهة من البحر ، وبقوتين متصلتين من الخلف . وأضاف المقيم بأنه « يمكن تلاقى أية معارضة من جانب الحكومة الفارسية ، وذلك بدعوتها إلى المشاركة في هذه العملية »^(٢) .

وفي ٦ مارس أبقى الأدميرال إلى حكومة الهند بأن قوة من ٨٠٠ أفغانى قد وصلت إلى الساحل ، وأن ٣٠٠ آخرين وصلوا إلى فانوخ ، وتساءل عما إذا كان في إمكانه إعطاء وعد للحكام المحليين بالمعاونة البريطانية لهم في حالة مواجهتهم الأفغانين^(٣) ، وقد وافقت حكومة الهند فوراً على هذا الاقتراح ، كما اقترحت إرسال قوة من ألف رجل على سفينتين للعمل تحت تصرف قائد الأسطول شرقاً

From I.O. to F.O., 9th March 1911.

(١)

From F.O. to I.O., 29th March 1911.
I.O.L., B. 196, pp. 19-20.

Lieutenant-Colonel Cox to Governor of India, 2nd March 1911.

(٢)

I.O.L., B. 196, p. 20.

انظر :

Commander-in-Chief, East Indies to Admiralty, 10th March 1911.

(٣)

I.O.L., B. 196, p. 20.

انظر :

وغرباً على طول الساحل . وقد ردت تكاليف ذلك نحو ٢٠٠,٠٠٠ ريال شهرياً ، إلا أن حكومة الهند رفضت بشدة إنزال قوة أكبر إلى الداخل ، كما اقترح الأدميرال سليد والكونويل كوكس ، ورأت أن هذه القوة يمكن استخدامها فقط للقيام بإغارات سريعة للقضاء على الجماعات التي تنزل الأسلحة إلى البر وحماية خط البرق^(١).

وقد وافقت الحكومة البريطانية على هذه المقترحات في ١٥ مارس ، وغادرت القوة البريطانية بمومباي في ٦ أبريل على السفينتين Northbrook, Hardinge^(٢) ، ولم تبلغ الحكومة الفارسية رسمياً ، لأن المقترحات لم تحتو على أى تغيير في العمل عن العام السابق^(٣) .

وبدا أن الأفغانيين كانوا يستعدون للحرب ، لأنهم كانوا قد خسروا كثيراً في العام السابق ، وكما أوضح إسلام فإن « الحرب الفعلية سوف تنشب سريعاً »^(٤) .

ومع نهاية شهر مارس ، أصبحت تحركات الأفغانيين أكثر وضوحاً ، فقد كانوا على شكل قوتين رئيسيتين بقيادة كل من غلام خان وخليفة خير محمد ، وكانت القوة التي في حوزة غلام خان تتكون من ٥٠٠ أفغانى يتركزون في إقليم لاشاريين بنت وهو خان . أما خليفة خير محمد فبلغت قواته نحو ٤٠٠ أفغانى تقدم بها عبر بشكرد في اتجاه بندر عباس^(٥) . هذا بالإضافة إلى ١٠٠ رجل متناثرين على الساحل .

Governor of India to Viscount Morely 400/11, 15 March 1911. (١)

I.O.L., B. 196, p. 20. انظر :

Viscount Morley's telegram 15 March 1911. (٢)
I.O.L., B. 196, p. 20.

Commander-in-Chief to Admiralty, telegram 3rd April 1911. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 20. انظر :

Captain Craufurd to Chief of General Staff, 11 March 1911. (٤)
I.O.L., B. 196, p. 196. انظر :

Telegram from Viceroy, 517/11, 23 March 1911. (٥)
I.O.L., B. 196, p. 21. انظر :

خليفة خير محمد هو الأكثر أهمية ، كما كان له تأثير ديني كبير^(١) . وقد رفض خليفة التفاهم مع الماجور أوكونور O'Connor الفصل في سستان . ومع نهاية فبراير أغار خليفة على قافلة في جرجه ، ونهب قبل ذلك عربة بريد فارسية .

وبالإضافة إلى هذين الفائتين الأفغانيتين ، كان هناك مير بركات — الذى سبق السلام عنه — والذى كان من اللازم التعامل معه في إقليم بيايان ، والذى أثار حالة مستمرة من الاضطرابات هناك منذ هربه في أغسطس ١٩١٠^(٢) .

العمليات البريطانية في فارس :

كان إسلام خان وسيد خان من الحكام الفارسيين اللوالبين لبريطانيا ، وكان تعاونهم مع الانجليز في منع تجارة الأسلحة وطرد التجار الافغانين من أهم الأعمال التى أنجزت في الأقاليم الداخلية ، وذلك من وجهة النظر البريطانية .

وفي مارس ١٩١١ قدم الكابتن Craufurd ضابط المخابرات البريطانية صورة اتفاق بينه وبين السردار سيد خان حاكم جه الرئيس الأعظم لسكران الفارسية ، وبده التبنى السردار إسلام خان حاكم بنت ، بأن تمنح حكومة الهند كلا منهما ٨٠٠ ريال سنوياً وذلك لأنهما ولدة الخمس سنوات الأخيرة رفضا معاونة الأفغانين وقاوما تجارة الأسلحة ، وعاقبا الاشخاص الذين يملكون في هذه التجارة^(٣) . وقد وافقت حكومة الهند على هذا الاتفاق . إلا أنه لتلافي أى مشكلات

Consul General at Bushire to Sir G. Barley, 26 Feb. 1911. (١)

I.O.L., B. 196, p. 21. انظر :

Governor General in Baluchistan to Gov. of India, 23 Feb. 1911. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 21. انظر :

Captain Craufurd to Commander-in-Chief, 14th March. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 21. انظر :

مع الحكومة الفارسية — باعتبار أن هذا الإتفاق مع اثنين من الأمراء يمس استقلال فارس — فقد اقترح الكولونيل كوكس أن يعقد الإتفاق بواسطة مدير إدارة البرق الهندأوربية ، وأن يوقعه المستر Gumbley وأن تدفع المنحة المالية للسوية عن طريق إدارة البرق^(١) . وقد تم التصديق على هذا الإتفاق في نوفمبر ١٩١١ .

وفي ١٣ أبريل ، تقدمت قوة بريطانية للبحث عن مخزئين للأسلحة تابمين لخير محمد^(٢) قرب نهر جالغ ، وقد أبلغت الحكومة الفارسية أن هذا هو سبب إرسال قوات بريطانية من الهند . وقد رافق سيد خان هذه القوة البريطانية التي تقدمت عبر بركان على بعد ٢٠ ميلاً شمالى شكبند وثلاثين ميلاً من بنت . وتقدم الكولونيل ديلامين Delamain قائد القوة ومعه سيد خان وإسلام خان من بركان في ١٦ أبريل إلى بنت ، حيث استقبل استقبالاً ودياً ، وظل هناك نحو ٦٠ ساعات ثم عاد مرة أخرى . وعادت القوة في ٢١ أبريل ، ولم تجد أسلحة هناك . إلا أنه نتيجة لهذا التقدم البريطانى إلى الداخل ، فقد تهقر الأفغانيون الذين كانوا يحاولون الوصول إلى الساحل وانسحبوا بسرعة من بنت وفانوخ واتجهوا شمالاً^(٣) .

وبعد ذلك بيضعة أيام تواترت الأنباء بأن بركات خان قام بالاغارة على كل إقليم بيابان ، وأنه يحاول إقامة مركز كبير لتجارة الأسلحة^(٤) ، وقد تقدمت قوة بريطانية على ساحل بيابان في ٢٥ أبريل للعمل في مجموعتين . وأمكن في النهاية طرد

Gov. of India to L.-C. Cox, 8th April 1911. (١)

I.O.L., B. 196, p. 21. انظر :

Sir E. Grey to Sir G. Barley, 13th April 1911. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 21. انظر :

Commander-in-Chief to Admiralty, 22nd April 1911. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 22. انظر :

Telegram from Viceroy, 27th April 1911, 719/11. (٤)

I.O.L., B. 196, p. 22. انظر :

ميربركات بخسارة ١٢ من رجاله ، ثم عادت القوات إلى الهند^(١) .

وكانت هذه العملية على نطاق أوسع من الإغارات طبقاً للغرض منها عند الموافقة على إرسالها . وقد طلبت حكومة لندن تفسيراً من الأدميرال لأنه — طبقاً لبرقية حكومة الهند في أول مايو — بدا وقد تجاوز التعليمات المعطاة له^(٢) .

وكان تفسير الأدميرال باختصار أن تجارة الأسلحة في بلوخرستان الفارسية تركز على بركات خان ، وهو قد استدعى الأفغانين جنوباً إلى يابان ، وأنه بإغاراته « على القرى الموالية لنا جعلها في حالة من الدعر قد تجعلها تقدم المعاونة للأفغانين ، وقد جاء الفلاحون إلى جاسك لتقديم شكواياتهم إلينا ، وإذا لم نقم بعمل فعال ، فإنه قد يتفاخر بأنه قد أبعدنا تماماً ، والنتيجة ضياع الهيبة البريطانية وازدياد نفوذه هو » بينما السلطات الفارسية لا تملك القوة التي تردعه ، وأكثرت من ذلك فإن الملاحة على ساحل يابان أثناء الرياح الجنوبية الغربية أكثر ملاءمة من ساحل مكران ، ويمكن نقل الأسلحة إليه بسرعة بينما ساحل مكران لا يمكن الاقتراب منه ، وهو مألوف أكثر لمهربى الأسلحة لقربه من ساحل عمان ، ولذلك فإنه من المرغوب فيه محاولة القضاء على نفوذ بركات كمستورد الأسلحة على هذا الساحل » . أما السبب الظاهري للحملة ، فقد اقترح الأدميرال استغلال فرصة استيلاء القوة على أسلحة من قارب كويتي تحطم قرب الساحل وتم بالفعل الاستيلاء على نصف محنته ، واعتبار هذه الحادثة سبباً ظاهرياً للحملة^(٣) .

وقد وافقت حكومة لندن على هذا التفسير ، بعد أن كانت قد انتقدت المدى الطويل الذي وصلت إليه الحملة إلى الداخل ، واحتمال حدوث مشكلة دولية بسببها .

Commander-in-Chief to Admiralty, 30th April 1911. (١)

I.O.L., B. 196, p. 22. انظر :

Viscount Morley's Telegram, 28th April 1911. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 22. انظر :

Telegram from Viceroy, 9 May 1911, 794/11. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 22. انظر :

وعلى أية حال مهما كان سلوك الجنرال ، فان تأثير الحملة كان فعّالاً — من وجهة النظر البريطانية — فقد رافق الحملة كل من سيد خان وإسلام خان ، وقد شعرا بفعالية الحصار البحري ، والقدرة على التقدم مسافة كبيرة إلى الداخل^(١) ، كذلك قدم أميران آخران هما مير حاجي ومير كبر معاوتهما للبريطانيين ، كما أن الأفغانين تخلّوا عن مير بركات تماماً^(٢) .

أما بالنسبة للحصار البحري ، فقد طلبت حكومة الهند الموافقة الرسمية على استمرار الحصار طالما استمرت تجارة الأسلحة وطالما بقي الأفغانيون في مكران^(٣) . وقد جاءت الموافقة على استمرار الحصار إلى نائب الملك في ١٥ مايو ، على أن تنتهي فترة الحصار في آخر نوفمبر ١٩١١^(٤) . ومن المناسب هنا أن نشير إلى أن كلا من المقيم في الخليج والقائد العام في الهند تمسكا بأن الحصار يجب أن يظل قائماً إلى أن يمكن الوصول إلى اتفاق دائم مع الحكومة الفرنسية أو مع سلطان مسقط^(٥) . ولا شك أن الحصار كان ناجحاً تماماً ، إلا أنه يتكلف كثيراً وأنه من المرغوب فيه على هذا الأساس — من وجهة النظر البريطانية — عدم الاستقرار في هذا الحصار بقدر ما تسمح به الظروف . ومن وجهة النظر الأخرى ، فإن أى تخفيفاً للحصار قبل الوصول إلى تسوية دائمة قد يؤدي إلى ضياع كل المكاسب التي حققتها بريطانيا من هذا الحصار . وفي ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٠ طلبت حكومة لندن

Earl of Crewe's Telegram to Gov. of India, 2nd June 1911. (١)

I.O.L., B. 196, p. 22. انظر :

Mr. Gregson's Report, 4th May 1911. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 22. انظر :

Telegram from Viceroy, 13th May 1911, 805/11. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 23. انظر :

Earl of Crewe's Telegram, 20th June 1911, 37/9/11. (٤)

I.O.L., B. 196, p. 23. انظر :

Lieutenant-Colonel Cox to Gov. of India, 28th August 1911. (٥)

I.O.L., B. 196, p. 23. انظر :

من حكومة الهند أن توضح وجهة نظرها بالنسبة للموضوعات التي قد تثار في المفاوضات بالنسبة لأربع نقط :

١ — « التنازلات الإقليمية التي يمكن منحها لفرنسا في الهند في مقابل الامتيازات البريطانية في مسقط .

٢ — « ما إذا كان أى تنازل من جانب فرنسا ، لا يكون أقل من حرية السلطان منع استيراد الأسلحة .

٣ — هل يكفي احتكار سلطنة مسقط وحكومة الهند للتجارة في مسقط ؟

٤ — هل من الممكن دراسة مسألة التعويض النقدي للحكومة الفرنسية أو للتجار الفرنسيين في مسقط ؟

وقد استشارت حكومة الهند المقيم في الخليج بالنسبة للنقاط الثلاث الأخيرة ، وبعد أن اجتمع بالمajor Trevor الممثل السيامي في مسقط ثم بالادميرال سليد Slade أعطى وجهة نظره ونظرهما كالآتي :

١ — أن كل مجهوداتنا في الفارضة مع فرنسا يجب أن تهدف الى المنع التام للاستيراد والتصدير ، وبدون ذلك فإنه من الصعب على أى موظف حكومي السيطرة على الجمارك .

أما احتكار سلطة مسقط للتجارة بعد أمراً غير عملي ، لأنه من المحتمل أن يمنع السلطان هذا الاحتكار ان يدفع أكثر .

٢ — وأى مشروع آخر دون المنع الكامل للتجارة يجب أن يتضمن :

« (١) تحديد الاستيراد الى المطالب الفعلية للسلطان ورعيته ، ويمكن تحديد الكمية باتفاق مشترك .

(ب) قصر الاستيراد على مسقط فقط .

٣ — فيما يتعلق بالتعويض فإن الحل الوحيد الممكن هو شراء المخزوف من الأسلحة الموجودة في مسقط .

والواقع أنه منذ عقد مؤتمر بروكسل الدولي لمنع تجارة الأسلحة في مسقط

والخليج وحدود الهند وشبه الجزيرة العربية (١) ، بذلت بريطانيا مجهودات مستميتة للوصول إلى تسوية مع فرنسا ، وقد بدأت المفاوضات بين الحكومتين الانجليزية والفرنسية في أبريل ١٩١٠ ، إلا أن هذه المفاوضات باءت بالفشل أيضاً (٢) والواقع أن الشركات الفرنسية التي كانت تضغط على الحكومة الفرنسية ضغطاً لكي تستمر في ممارسة نشاطها (٣) . ولم يبق هناك سوى ما اقترحه كوكس من نبذ المفاوضات مع فرنسا والاتصال مباشرة بأمارات الخليج العربي .

موقف إمارات الخليج العربي من التجارة :

لقد كانت هناك معاهدات ولائبة بين الحكومة البريطانية وشيوخ الكويت والبحرين والشيخ أي ممثل أو مبعوث من أية قوة أجنبية إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية ، وأن لا يبيع أو يتنازل أو يرهن أو يسمح باحتلال أى جزء من أراضيه لأية قوة أجنبية أو لرعايا أية قوى أجنبية . وقد منح الشيخ مكافأة من ١٥,٠٠٠ ريال في مقابل توقيعها على المعاهدة .

وكانت المعاهدات مع البحرين والساحل المهادن على نفس النوال مع اختلافات بسيطة . وجدير بالذكر أنه كانت قد عقدت معاهدة مع مسقط في عام ١٨٩١ تمهد فيها السلطان بعدم التنازل أو البيع أو الرهن لأى جزء من أراضيه سوى للحكومة البريطانية (٤) .

وبالنسبة للتجارة في الأسلحة والدخائر فقد واجهت بريطانيا بعض الصعوبات

(١) Philip Graves, The Life of Sir Percy Cox, p. 142.

(٢) India Office Library, Political Dep.
B. 182, Arms Traffic at Muscat.
I.O., 15th Feb. 1911.

(٣) Graves, op. cit., p. 142.

(٤) I.O.L. Pol. Dep., B. 151, Memo. British Interests on the Coast of Arabia, Kowalt, Bahrein and El-Katr, 1905.

في التعامل مع إمارات الخليج ، فإن شيخ الكويت الذي كان قد تعهد في مارس ١٩١٠ بتنفيذ تصريحه في مايو ١٩٠٠ والخاص بمعاينة أى ملاح في الكويت يتاجر في الأسلحة يواجه في أبريل حادثة هامة ، فقد قبضت السفينة البريطانية Hyacinth على ملاح اسمه محمد صالح ؛ إلا أنها أفرجت عنه بعد ذلك ، ومن ثم ارتبط ببيع سفينته « فتح الخير » إلى شركة Goguyer et Cie الفرنسية في مسقط — وهي شركة تعمل في تجارة الأسلحة — وفي ٢٧ أبريل ١٩١٠ وصلت السفينة « فتح الخير » إلى الكويت وعلى ظهرها محمد صالح ويرفرف عليها العلم الفرنسي ، وتبين من أوراقها أنها أصبحت مملوكة لشركة Goguyer ، كما كانت الأسلحة التي تحملها باسم تمثل شركة Gogyer في الكويت . . . وهنا جاءت اللحظة التي تظهر مدى تمسك شيخ الكويت بعهده للبريطانيين ، إلا أن الشيخ بدأ متردداً .

وقد حثه السكابتن شكسبير — الضابط السياسي في الكويت — كي يقبض على الملاح لأن له الحق في ذلك . « أما بالنسبة للأسلحة ، فإنه رغم تصريح عام ١٩٠٠ يعطيه الحق في الاستيلاء عليها ، فإنه من الأفضل من الناحية السياسية ، ولتلافي أية تعقيدات مع الفرنسيين أو تجار مسقط ، من الأفضل تحويل المسألة إلى الكولونيل كوكس أو إرسال الأسلحة إلى البصرة أو إعادتها إلى مسقط » . وبعد ذلك ببضعة أيام تواترت الأنباء أن الشيخ قد وافق على بعض الاعتذارات من محمد صالح ثم تركه يذهب بالسفينة . كما أن الأسلحة سلمت للوكيل بعد دفع الضرائب المعتادة أى ٦ ريال عن كل بندقية . كما أخذ الشيخ لنفسه بعض الأسلحة . ولما كانت الأسلحة لا زالت في حوزة الوكيل ، فقد حث السكابتن شكسبير الشيخ على الاستيلاء عليها ، كما وعده بالمعونة البريطانية في حالة حدوث أية مشكلات . وقد وعد الشيخ بأن يفعل ذلك ، وأكثر من ذلك بأن يرفض الاعتراف بالوكيل التجاري للشركة الفرنسية . إلا أن الشيخ تردد في تنفيذ ذلك ، مما أدى بالسكابتن شكسبير إلى الاستيلاء على الأسلحة (٣٠١ بندقية ، ١٠٠ ، ٣٠ طلقة نارية) .

وقد حاول الشيخ التنصل من أية مسئولية ، وأن يلقي المسئولية كلها على عاتق الضابط السياسي بأن يجعله يقدم صكاً بالاستلام إلى وكيل الشركة الفرنسية ، وأن يبلغه بأن الاستيلاء قد تم بواسطة وليس عن طريق الشيخ ، وقد رفض السكابتن

شكسبير ذلك بطبيعة الحال . وأخيراً عرض الشيخ في ٨ مايو أن ينقل الأسلحة من الوكالة إلى الجمرح حيث وضعت بالفعل تحت التحفظ والحراسة (١) .

ومنذ تحمل الشيخ مسئولية ذلك ، فإنه تمسك بهذا الموقف الصارم ، وعندما طلب منه ممثل الشركة الفرنسية في يونيو إعادة الأسلحة ، فإنه رفض كل العروض المقدمة له مشيراً إلى أن الاستيلاء قانوني طبقاً للتصريح ، وأعين أنه لن يسلم الأسلحة إلى أية جهة خارجية حيث أنه تم الاستيلاء عليها « للخزانة العامة لدولته » .

وفي ٢١ مايو ١٩١٠ كتب الشيخ يؤكد لليفتنانت كولونيل كوكس مظهراً إخلاصه ورغبته في تنفيذ التصريح « لأن الطاعة لأوامرك ورضاءك عنا هما أهم الفوائد بالنسبة لنا » . ورغم ذلك فقد اضطر السكاكين شكسبير إلى اتهام الشيخ — رغم إنكار الأخير — بأن سفيتين قد أنزلتا نحو ١٧٠٠ بندقية مؤخراً في الكويت .

ويجب أن نوضح هنا أن الشيخ مبارك كان حديثاً قد أصابته خسائر فادحة في الأسلحة نتيجة لهزيمة الكويت أمام سعدان باشا ، وأنه في سبتمبر ١٩١٠ سمح له بأن يعرض نفسه في الأسلحة بشراء ١٥٠٠ بندقية من مسقط وأن ينقلها إلى أعلى الخليج بعد أن أعطاه المايجور Trevor تصريحاً بذلك .

وفي غضون ذلك الوقت أبدى الشيوخ المهادنون وشيوخ البحرين اتجاهات موالياً لبريطانيا . ففي ٢٢ يونيو ١٩١٠ سجل ممثل للقيم على الساحل المهادن بأن شيخ دبي الشيخ بو تي ابن سهيل قد استولى على ٣٩٦٠ طلقة كانت في حوزة اثنين من الرعايا الفرس ، وقد شكر كوكس الشيخ على هذا العمل ، ومن أجل تشجيعه هو وغيره على السير في هذا السبيل ، سمح له كوكس بالاحتفاظ بالذخيرة بشرط

(١) Telegram from Captain Shakespear to Lieutenant-Colonel Cox, 12th May 1910.

عدم إعادتها مرة أخرى للتاجرين الفارسيين ، وقد وافقت حكومة الهند على هذا الإجراء (١) .

وفي أغسطس استولى السكابتين ما كنزى فى مهرج — جزيرة صغيرة قرب البحرين — على ٢٥ بندقية ، ٨ مسدسات ، ٣٩,٨٣٢ طلقة وذلك بمعاونة شيخ البحرين . وكان التاجر المسئول هو يوسف فخرى أحد الأصدقاء المقربين من الشيخ وأحد كبار التجار فى البحرين . ونتيجة للموقف الخطير ، رأى ما كنزى اتخاذ أسلوب أكثر حزمًا ، ولما كان من غير المرغوب فيه — سياسياً — حبس هذه الشخصية الكبيرة ، فإن الشيخ حكم عليه بغرامة قدرها ٤٠٠٠ ريال — بعد استشارة الضابط السياسى — مع تدمير الأسلحة . ومن وجهة النظر البريطانية ، فإنه لم يكن من الصواب أن يقوم الشيخ بمصادرة الأسلحة ، لأنه رغم اكتفائه الدائى من الأسلحة ، فإنه كان من المعقول جداً أن يعيدها إلى يوسف فخرى .

ونتيجة لهذا السلوك الموالى من جانب الشيخ ، فقد تلقى شكر حكومة الهند (٢) .

وبدأت وطأة الحصار تؤثر بقوة على مسقط ، وشعر السلطان نفسه بهذا الضغط . وقد أبدى السلطان سوء حالته المالية للكونلونيل كوكس ، وأن تجارة الأسلحة هى ضارة به حالياً ، وأنها عقدت علاقاته مع القرى الأخرى ، وأنه يرغب فى منع هذه التجارة . وقد اقترح كوكس إقراضه قرضاً صغيراً كحل سريع ، إلا أن السلطان رأى أن ذلك لا يليق بمكانته ، وطالب باتفاق أو تسوية لكل مسألة التجارة (٣) .

وكانت السفينة البريطانية Fox قد قامت بالإستيلاء على السفينة « بديل »

Telegram to L.-C. Cox, 19th July 1910.

(١)

I.O.L., B. 196, p. 9.

انظر :

Telegram, Governor of India to L.-C. Cox, 11th Oct. 1910.

(٢)

I.O.L., B. 196, p. 9.

انظر :

L.C. Cox to Governor of India, 1484/10, 18th Sept. 1910.

(٣)

I.O.L., B. 196, p. 9.

انظر :

في ميناء مسقط ، وقد اعتبر السلطان أن الاستيلاء على شحنة هذه السفينة يعد إهانة شخصية له كحاكم مستقل ، واستنكر كذلك بعض حالات الإستيلاء على شحنات الأسلحة في الميناء . وقد تمسكت بريطانيا بأن تصريح السلطان في يناير ١٨٩٨ يعطى للبريطانيين هذا الحق . وبالنسبة للسفينة « بديل » فإنه كان من المستحيل أن يترك البريطانيون الشحنة للسلطان بينما من المتوقع جداً أن يعيدها مرة أخرى للتجار للتصدير ، هذا في الوقت الذي « تمسك فيه بالحصار القوي يتكلف نفقات طائلة لمنع ذلك » .

ولا شك أن حالة السلطان المالية قد تدهورت كثيراً ، وأدى ذلك إلى قيامه بتشجيع تجارة الأسلحة سراً . ومن ثم اقترح كوكس أنه « إذا كنا في حاجة ماسة إلى معاونته في أية مساومات قريبة مع فرنسا ، فإنه ليس من الحكمة أن نرفض لسموه أى طلب وأنه يجب منحه فوراً مبلغاً مقدماً من قيمة شحنة السفينة « بديل » في حدود ١٠ ريال عن كل بندقية ، ٥ ريال عن كل ١٠٠ طلقة ، أى أن المجموع النهائي يبلغ نحو ١٤,٢٥٠ ريالاً عن الشحنة كلها » . وقد رأت حكومة الهند أنه يمكن الموافقة على اقتراح كوكس « إلا إذا كان هناك اتجاه لمقد تسوية مع فرنسا »^(١) . إلا أن حكومة لندن أبلفت حكومة الهند بأنه ليست هناك توقعات للمفاوضات مع فرنسا ، وهكذا تمت الموافقة على دفع المبلغ المذكور لسلطان مسقط^(٢) وقد رفض السلطان هذا المبلغ ، وطلب إعادة الأسلحة بواسطة لأصحابها ، وتبين أنه كان قد اقترض من التجار وأنهم اشتروا عليه إعادة الأسلحة^(٣) .

ولا شك أن الحصار كان فعالاً ومؤثراً على تجارة الأسلحة في مسقط ، ورغم

Telegram from Viceroy, 1544/10, 28th Oct. 1910.

(١)

I.O.L., B. 196, p. 10.

انظر :

Earl of Crew's Telegram, 15th Nov. 1910.

(٢)

I.O.L., B. 196, p. 10.

انظر :

Telegram from Viceroy, 26 Dec. 1910.

(٣)

I.O.L., B. 196, p. 10.

انظر :

التجار الفرنسيين وخاصة شركة Goguyer تأثراً كبيراً من الحصار ، فإن الأسلحة الواردة كانت بصفة رئيسية صناعية بلجيكية أو انجليزية^(١) .

وفي سبتمبر أيرق الماجور Trevor الممثل البريطاني في مسقط إلى الكولونيل كوكس بأن التجار قد تأثروا كثيراً بالحصار ، وأن الأسعار قد انخفضت كثيراً ، إلا أنه عند ما تواترت الأنباء عن وفاق بين الحكومتين البريطانية والفرنسية بالنسبة لمسألة الأسلحة ، فان بعض التجار بدأوا في التحفظ على الأسلحة التي في مخازنهم بأمل نيل تعويض في النهاية^(٢) .

وفي ٤ أكتوبر أبلغت حكومة الهند بأن مسألة التعويضات « لن تناقش الآن » ، إلا أن حالة التجار في مسقط كانت آخذة في الانعاش ، فقد قدم شيخ الكويت طلباً لشراء كميات ضخمة من البنادق بتصریح بريطاني ، كما اندفع التجار الأفغانيون للشراء ، وهكذا انتعشت التجارة بعض الوقت .

تدعيم الحصار البحري على طول الساحل الفارسي والعربي :

لقد أثبتت مسألة استمرار الحصار مرة أخرى ، وتم التصديق على ذلك حتى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩١٠ . وقد أوضح الأدميرال سليد Slade عن وجهة نظره بأنه يجب استمرار الحصار تحت أية ظروف لمواجهة نشاط الأفغانين « وأنه عند وصول هؤلاء إلى الخليج وتأكد من فعالية الحصار فمن المحتمل أنهم سوف يتراجعون وينهون الصراع ، إلا أننا إذا رفقنا بالحصار ، فسوف تتجدد تجارة الأسلحة مع ازدهار أكثر من أي وقت مضى » .

كما أوضح الأدميرال أن القوة البحرية اللازمة لكي يكون الحصار فعالاً يجب أن تكون من أربعة طرادات وسبع سفن حربية ، كما أشار إلى أنه إذا كان الحصار ناجحاً ، فانه من المحتمل إنقاص عدد من السفن إلى ثلاثة في فبراير أو مارس

(١) Governor of India to Viscount Morley, 1149/10, 11 August 1910.

I.O.L., B. 196, p. 10.

انظر :

Major Trevor to L.C. Cox, 17th Sept. 1910.

(٢)

I.O.L., B. 196, p. 10.

انظر :

١٩١١^(١).

كما أكد ممثل الحاكم العام في بلوخستان أهمية استمرار الحصار ، واقترح تدعيم ذلك الحصار حتى يخاف التجار من المخاطرة بأموالهم في تجارة الأسلحة .

أما السكولونيل كوكس فكان يرى وجوب استمرار الحصار وتدعيمه حتى ربيع عام ١٩١١^(٢) . وقد وافقت حكومة الهند على تلك الاقتراحات ، وأعارت — بموافقة وزير الدولة — ثلاث سفن لقوة الحصار حتى تصل القوة إلى سبع سفن حربية^(٣) .

وفي ٢٩ نوفمبر وافقت حكومة الهند على مقترحات الضباط الثلاثة ، وأرسلت اقتراحاً إلى حكومة لندن باستمرار الحصار إلى نهاية مارس ١٩١١^(٤) .

وقد وافقت الحكومة البريطانية على ذلك في ١٦ يناير ١٩١١^(٥) .

وفي غضون ذلك الوقت ، تم تدعيم الحصار ، وقام الأسطول بنشاط كبير ، وفي ٢ نوفمبر نزلت قوة من السفينة البريطانية Proserpine على مسافة سبعة أميال

Admiral Slade to Government of India, 2nd August 1910. (١)

I.O.L., B. 196, p. 11. انظر :

L.C. Cox to Government of India, Telegram, 30 August 1910. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 12. انظر :

Telegrams from Gov. of India, 1st Nov. and 7th Nov.
Telegram from Secretary of State, 7 Nov. 1910. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 12. انظر :

Telegram from Viceroy, 1713/10, 29th Nov. 1910. (٤)

I.O.L., B. 196, p. 12. انظر :

Earl Crewe's telegram, 16 January 1911. (٥)

I.O.L., B. 196, p. 12. انظر :

من بريس للبحث عن الأسلحة المحمولة إلى المنطقة المجاورة^(١) . وهاجم بعض الأفغانين بعض البالوخ ، وفي اليوم التالي نزلت قوة بريطانية أخرى من السفينة الحربية Perseus وتم الاستيلاء على ٢٦٠ بندقية و ٣٠,٠٠٠ طلقة ، كما تم اكتشاف القارب الذى أحضر هذه الشحنة من الأسلحة والدخائر وتم إحراقه^(٢) .

واستمر نشاط الأسطول البريطانى فى تدعيم الحصار البحرى ، ففي ٢٠ نوفمبر ١٩١٠ ، أحرق الكابتن Hant قارباً عليه شحنة من الأسلحة ، وكان هذا القارب مملوكا للاح اسمه عبد الله من رعايا سلطان مسقط^(٣) . كما أحرق الكابتن هنت سفينتين محملتين بالأسلحة والدخائر فى ٢٩ نوفمبر^(٤) .

وكان إجراء إحراق قوارب تهريب الأسلحة إجراءً جديداً بتعليمات من الأدميرال سليد Slade ، ولا شك أن هذا الأسلوب الجديد فى عمليات الحصار كان فعالاً من وجهة النظر البريطانية ، لأن بحارة السفن وجدوا أن عملية نقل الأسلحة عملية خطيرة لا تساوى المخاطرة من أجلها ، لأنها قد تؤدى إلى فقد السفينة نفسها . ولقد كان لهذا الأسلوب أثره حتى أن الأدميرال سليد أمكنه أن يؤكد فى فبراير ١٩١١ أن « تجارة الأسلحة أصبحت راكدة تماماً ، وأن بعض الشحنات كانت تهرب عبر الحصار من وقت لآخر إلا أنه حتى هذه الشحنات قد نقصت

(١) Telegram from Commander-in-Chief to Admiralty, 4th Nov. 1910.

I.O.L., B. 196, p. 12. انظر :

Gov. of India to Earl Crewe, 11th Nov. 1910. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 12. انظر :

Captain Hunt to Commander-in-Chief, 24th Nov. 1910. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 13. انظر :

Captain Hunt to Commander-in-Chief, 29 Nov. 1910. (٤)

I.O.L., B. 196, p. 13. انظر :

إلى حد كبير منذ أن أصدرت تعليماتى بإحراق القوارب القائمة بالتهريب» (١) .

إلا أنه بينما نجح الحصار للبحرى فى إيقاف التهريب فى ساحل مكران ، فإن التجارة فى الأسلحة استمرت فى أعلى الخليج . وجاءت الأنباء بأن عدداً كبيراً من الأفغانيين كانوا يعملون فى ميناء بندر عباس إلا أنهم اختفوا فجأة وبطريقة غامضة . وتبين بعد ذلك أن كمية كبيرة من الأسلحة قد نقلت سراً من الكويت إلى بندر طاهرى الفارسى ، وأنه من المرجح أن أمر اختفاء الأفغانيين متصل بهذه العملية .

وفى ٢٤ ديسمبر ١٩١٠ حدثت حادثة هامة فى دى ، فقد نزلت قوة بريطانية من السفينة الحربية Hyacinth إليها نتيجة لمعلومات سابقة بأن أسلحة سوف تصدر منها بطريقة مخالفة للمعاهدة للبرمة معها وقد أطلق العرب النار على القوة البريطانية ، وكانت خسائر البريطانيين ٦ قتلى ، ٩ جرحى وخسر الجانب الآخر ٣٧ قتلاً .

والواقع فإن القتال قد « ازداد حدة نتيجة للشعور للزياد من العداء والغيظ نتيجة للإجراءات التى دعمت منع تجارة الأسلحة على الساحل » .

وفى ٢٠ ديسمبر استدعى الليفتينانت Noakas R.N. الشيخ طى شيخ دى للاتفاق معه على تفتيش أحد النازل للشبهة وجود أسلحة فيها ، إلا أن الشيخ تلاكأ فى ذلك ، مما أدى إلى فشل العملية . وفى ٢٢ ديسمبر علم الكاتبين ديك J.D. Dick السفينة Hyacinth أن الليفتينانت نوكس قد خدع ، وأن الأسلحة قد أخفيت عنه . وعندما استدعى الشيخ لتفتيش منزلين آخرين بصحبة قوة بريطانية ، فإنه لم يستجب لذلك وعندما قامت القوة البريطانية وحدها بالتفتيش ، بدأت بعض الاضطرابات ، وتبين أن الشيخ هو الذى سمح بهذه الاضطرابات إلا أنه عندما وجد أن الحالة قد أصبحت خطيرة ، فإنه عمد إلى القضاء على هذه الاضطرابات . « وتبين

أنه قادر على السيطرة إذا ما رغب في ذلك» (١).

وفي ٢٨ ديسمبر استقبل الأدميرال سليد Slade والكولونيل كوكس الشيخ على ظهر السفينة Hyacinth. وقد أنكر الشيخ عدم تعاونه، واتهم الجماعة البريطانية التي نزلت إلى البر بأنها هي التي بدأت بالدوان، إلا أن كلماته كانت تختلف كلية عن تقارير الضباط البريطانيين. وأكثرت من ذلك فإنه رفض إعادة إقامة «صارى» — كانت قد أقامته السفينة Hyacinth لإظهار حركة المد والجزر — وكان قد رفع بتعليمات من الشيخ، كما رفض أن يقيم ضابط بريطاني في دبي كممثل للمقيم (٢). ونتيجة لذلك أرسل إنذار بريطاني مكتوب ولمدة ٤٨ ساعة يطلب الآتي :

١ — إعادة السريمة للقائم الحشبي (الصارى) وأن يظل هذا الصارى قائماً الفترة التي يحددها قائد السفينة البريطانية Hyacinth.

٢ — الموافقة على إقامة محطة للبرق في الوقت الذي تراه الحكومة مناسباً وطبقاً للشروط الواردة في المادة الإضافية لمعاهدة ١٨٥٣.

٣ — تسليم ٤٠٠ بندقية صالحة على أن تجمع مع الأهالي.

٤ — دفع ٥٠,٠٠٠ ريال كتعويض يوضع تحت تصرف الحكومة.

٥ — الموافقة على إقامة ضابط بريطاني كممثل، ومعه حرس خاص من قوة صغيرة، ويجب على الشيخ التعاون معه وحمايته ومعاملته معاملة ودية.

٦ — الموافقة على إقامة مكتب بريد فرعى تابع لإدارة البريد الهندية.

Commander-in-Chief to Admiralty, 30th Dec. 1910. (١)

I.O.L., B. 196, p. 14. انظر :

C. Dick to Commander-in-Chief, East Indies, 12 Dec. 1910. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 14. انظر :

وقعت المادة الإضافية في عام ١٨٦٤ ؛ وطبقاً لما فإن كل الشيوخ المهاجرين — بما فيهم شيخ دبي — تمهدوا بالامتناع عن أى تدخل في العمليات الخاصة بالبرق التي تقوم بها الحكومة البريطانية في أقرب أراضيهم.

وبالنسبة للبندين ٥، ٦ ، وافق الأدميرال ولتقيم بأنه للأغراض السياسية والتجارية ومشاكل تجارة الأسلحة ، فإنه مطلوب تعيين ضابط بريطاني في دبي ، وأن إقامة مكتب بريد جديد قد « طالب به التجار البريطانيون ، وأن تعيين ممثل يجمل من الضروري وضع قوة خاصة لحمايته ومحطة لاسلكي » (١) .

وفي أول يناير ١٩١١ ، قرر الأدميرال أن الشيخ قد أذعن للشروط الأربعة الأولى التي حوّاها الإنذار ، وأضاف الأدميرال بأن الأحداث الأخيرة أوّضحت بأنه حاكم ضعيف ، وأنه يبدو من الأهمية بمكان وضع ممثل بريطاني هناك ، وأن تكون معه قوة من ١٠٠٠ رجل .

وقد رأت حكومة الهند أن للوقوف في دبي مضطرب ومخاط بالأخطار ، وأن التمييز من ٥٠٠٠٠ ريال هو تعويض باهظ ، وأوصت بأنه يجب أن يكون واضحاً للشيخ ورؤساء القبائل في دبي وغيرها من المناطق ، أن للسألة الوحيدة التي تهتم بها الحكومة وهي إيقاف تصدير الأسلحة إلى فارس ، وأنه ليس هناك اتجاه لمنع رجال القبائل أنفسهم من حيازة الأسلحة أو للانتقاص من استقلالهم . كما رفضت حكومة الهند فكرة وضع قوة مع الممثل البريطاني في دبي ، وتمسكت بأنه « إلى أن يمكن إعادة العلاقات الودية إلى درجة تسمح بوضع ممثل هناك ، فإنه يعتبر كافياً قيام نائب القنصل في لجنة Lingah بزيارة دبي من وقت لآخر » (٢) .

وقد وافقت الحكومة البريطانية بهمة عامة على المقترحات الأخيرة ، خصوصاً بالنسبة لوضع مقيم في دبي ، وكذلك أشارت إلى أنه من المرغوب فيه جداً « تلافى أى عمل من شأنه أن يفسر على أنه تدخل في شئون الإمارات العربية » . وقد رأت الحكومة البريطانية أيضاً تفويض السكولونيل كوكس والأدميرال في مسألة التمييز

C. Dick to Commander-in-Chief, East Indies, 31 Dec. 1910. (١)

I.O.L., B. 196, p. 15. اطر :

Telegram from Viceroy, 2nd January 1911, containing telegram to Resident, 151/11. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 15. اطر :

« والتي بالنسبة للخسائر في الأرواح فإنها يجب أن ترفع طبقاً لمقدرة الشيخ على الدفع » (١).

وقد أشارت حكومة الهند إلى حقيقة أن الشيخ قد امتثل لشروط الإنذار ، ومن ثم أصدرت تعليماتها إلى القيم في الخليج بأن البنود ٢ ، ٥ ، ٦ (وخاصة بإقامة محطة البرق ومكتب البريد والممثل البريطاني) سوف تؤجل إلى حين هدوء الأحوال ، وأنه في غضون ذلك ، فإن كل التعويض البالغ ٥٠,٠٠٠ ريال سوف يحفظ إلى حين طلب الحكومة (٢) .

وقد أشار القيم في خطابه في ٨ يناير إلى المخاوف التي جاءت في برقية حكومة الهند بتاريخ ٢ يناير بالنسبة لموقف بقية الشيوخ (٣) ، فقد تم استقبال كل من شيخ الشارقة وأم السكوين على السفينة Hyacinth في ٣٠ ديسمبر ، وأنهما قد تأثرا كثيراً بما رآوه ، وأنهما قد أسفا للخلاف بين شيخ دبی والحكومة ، وأن الشيخين قد تعاونا على إقناع الشيخ بقبول الإنذار البريطاني ، وقد فهم الإثنين جيداً أن الحصار لا يمس استقلالهما (٤) .

وقد كان لهذه الأعمال أثرها في تهدئة الأحوال ، وسحبت السفينة الحربية من دبی ، ووضعت داورية ساحلية بدلاً منها (٥) . وقد استمرت تلك الحالة الحادثة في

Earl of Crewe to Gov. of India telegram, 5 January 1911. (١)

I.O.L., B. 196, p. 16. انظر :

Telegram from Viceroy, 23 January 1911. (٢)

I.O.L., B. 196, p. 16. انظر :

L.C. Cox to Gov. of India, 8 January 1911. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 16. انظر :

Commander-in-Chief to Admiralty, 2 Jan. 1911. (٤)

I.O.L., B. 196, p. 16. انظر :

L.C. Cox to Gov. of India Telegram. 12 January 1911. (٥)

I.O.L., B. 196, p. 16. انظر :

دنى ، حتى أن شيخها — رغبة منه في إظهار سلوكه الودى — قام بتقديم المعاونة الفعالة في أغسطس من أجل إيقاف شحنة من الأسلحة كانت متجهة من الساحل إلى أحد موانئ تنجستان (١) .

تجارة الأسلحة في مسقط :

تميزت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بازدياد حدة النشاط الأوروبى في مياه الخليج العربى وخاصة من جانب فرنسا والروسيا وألمانيا . وقد ركزت فرنسا أنشطتها في مسقط . وكانت فرنسا من قبل قد استغلت فرصة امتداد سلطنة مسقط إلى الساحل الشرقى الأفريقى ، وعقدت مع السيد / سعيد ابن سلطان حاكم مسقط وزنجبار في عام ١٨٤٤ .

وعندما عملت بريطانيا على تقسيم سلطنة مسقط — زنجبار أرادت أن تضمن موافقة فرنسا على ذلك التقسيم ، وذلك بمقتضى التصريح المشترك الصادر في باريس في مارس ١٨٦٢ . والواقع أن فرنسا وجدت في هذا التصريح فرصة لإقلاق بريطانيا على أساس أن لها مركزاً مساوياً — ولو نظرياً — مع مركز بريطانيا في كل من مسقط وزنجبار .

ولما كانت مسقط تحتل مركزاً هاماً على الطريق بين عدن وبومباى ، لذلك كانت لها أهمية كبيرة بالنسبة للحكومة البريطانية ، ولهذا السبب أخذت فرنسا تعارض السياسة البريطانية التى تستهدف السيطرة عليها ، وكثيراً ما لجأت إلى إثارة العقبات ضدها مستندة إلى ما لها من امتيازات سابقة أو على الأقل إذا رفضت بريطانيا الاعتراف لفرنسا بتلك الامتيازات فأنها كانت تعود إلى تأكيد تمسكها بالتصريح المشترك .

ومما يستلفت النظر أن الحكومة البريطانية استطاعت أن توثق صلتها بسلطنة مسقط ، وأن تحقق لنفسها الكثير من الامتيازات . وقد تطورت علاقتها بمسقط

بوجه خاص على أثر وفاة السيد / تركي بن سعيد في عام ١٨٨٨^(١) الذي خلفه ابنه الأصغر فيصل بعد أن نجح في إقضاء أخيه الأكبر محمود الذي كان من المقروض أن يؤول إليه الحكم^(٢) ولذلك أصبح فيصل في موقف يحتم عليه الحصول على تأييد خارجي يعتمد عليه في مواجهة التناوب التي أنارها أخوه ضده ، وكذلك لمواجهة الغائل في بعض أجزاء عمان الداخلية ، ولعل الحكومة البريطانية وجدت في ذلك الوضع فرصة ملائمة لتوالي الضغط على السلطان الجديد ، فلم تعترف به في بداية الأمر ، ويبدو أنها أخذت تسارعه بعد ذلك في نظير اعترافها بولايته حتى أعلنت هذا الاعتراف في عام ١٨٩٠ مع استمرارها في دفع الإعانة السنوية له ، وذلك بعد أن تمهد من جانبه بالمحافظة على الاتفاقات والمعاهدات التي عقدها والده مع بريطانيا^(٣).

وكانت أولى الأعمال السياسية للسيد / فيصل هو عقده لمعاهدة صداقة وملاحة وتجارة في ١٩ مارس ١٨٩١ مع بريطانيا ، وقد حلت هذه المعاهدة محل المعاهدة التي سبق أن عقدها السيد / سعيد بن سلطان في عام ١٨٣٩ ، وكانت تعنى هذه المعاهدة الأخيرة خضوع السلطان لحكومة الهند^(٤) . وتمتاز هذه المعاهدة بكثرة المواد المنظمة للعلاقات التجارية للسلطنة ، كما نصت في مسألة السلطة القضائية للقنصل البريطاني على شمولها للأرغابا البريطانيين^(٥) ، وأن هذه المسائل سواء كانت مدنية أم جنائية ، فإن من حق السلطات الفصلية البريطانية البت فيها^(٦) . كما تضمنت المعاهدة نصاً

(١) Philby, Arabia, p. 165.

(٢) Bent, Southern Arabia, pp. 56-57.

(٣) Arabie — Revue des deux mondes, tome VI, p. 906.
Rouire, La question du Golfe Persique CF l'Angleterre en

(٤) I.O.L., Pol and Secret Library, B. Confidential Memo.,
Mus. at, 1901.

(٥) British Institute, The Middle East, pp. 136-137.

(٦) C.U. Aitchison, A Collection of Treaties, Engagements and
Sanads relating to India and Neighbouring Countries, vol. XI, pp.
83-84.

آخر يفرض على السلطان توجيه سياسته طبقاً لما عليه الحكومة البريطانية ،
وأن لا يتقبل معاونة أو راتباً من أية حكومة أخرى^(١) .

وواضح أن عقد هذه المعاهدة كان مخالفاً للتصريح المشترك في عام ١٨٦٢ ،
ولذلك كان من المفروض أن تكون سرية ، وفعلت بريطانيا تمسك بهذه
السرية حتى اضطرت إلى أن تعلنها لفرنسا عام ١٨٩٩ عقب اشتداد الأزمّة في مسقط
بين الحكومتين في نفس العام^(٢) . وقد ألحق بهذه المعاهدة تعهد من جانب السيد
فيصل جاء فيه أنه يتعهد عن نفسه وعن ورثته وخلفائه من بعده بعدم التنازل عن
أراضي وممتلكات مسقط وعمان أو أى من ملحقاتهما أو بيعها أو رهنها أو السماح
باحتلالها لغير الحكومة البريطانية وأن يظل خاضعاً لمشورة حكومة الهند^(٣) .

النشاط الروسى الفرنسى في مسقط :

ليس من شك في أن من أهم الأسباب التي دفعت بريطانيا إلى تقوية نفوذها في
سلطنة مسقط وإلى توقيع المعاهدة السابقة ، ظهور النشاط الفرنسى في السلطنة بشكل
واضح ، وزاد الأمر خطورة أنه في عام ١٨٩١ انضمت روسيا إلى فرنسا في إتفاقية
سرية تهدف إلى مجابهة النفوذ البريطانى خصوصاً في منطقة فارس والخليج^(٤) .
وقد اتخذت الحكومتان سياسية موحدة في هذا السبيل . وفي نفس العام ظهرت
سفينة حربية روسية في ميناء مسقط ، وقابل قائدها السلطان ، وفي العام التالي
بذلت روسيا محاولة لكي تقيم لها قنصلية في مسقط . وبرر الإنجليز معارضتهم
للفنود الأوربي الذي أخذ يتسرب إلى الخليج بأن تلك القوى التي تريد التدخل

(١) British Admiralty, Handbook of Arabia, vol. I, p. 246.

انظر : د . جمال قاسم - الخليج العربى ص ٣٥٦ .

(٢) Aitchison, op. cit., p. 231.

(٣) Philby, Arabia, p. 166.

(٤) N.J. Whigham, The Persian Problem, p. 20.

في المنطقة لم تسام في عمل أى شيء لتقدم التجارة أو لضمانات الأمن كما فعلت بريطانيا^(١). ويبدو أن الحكومة البريطانية كانت تريد أن تكشف عن أغراضها الحقيقية وأن تعلن الحماية الرسمية على مسقط، ولكنها حتى لا تثير مشا كل دولة وخاصة بينها وبين فرنسا، فضلت الاستمرار في سياسة عقد المعاهدات بالإضافة إلى الاستمرار في دفع الراتب السنوى لسلطان مسقط والذي تمهدت بتقديمه منذ عام ١٨٧٣^(٢) مقابل إلغاء تجارة الرقيق في السلطنة، وقد وجدت في ذلك ضماناً مادياً لخضوع السلطان لما عليه عليه في سياستها^(٣).

وكان سولسبورى يرى ضرورة تهدئة العلاقات بين بريطانيا وفرنسا لإبعادها عن روسيا، ولا يعنى ذلك أن حكومة لندن سوف تتنازل عما لها من نفوذ في مسقط، وإنما معناه أنها لم تكن تود حدوث أزمة في العلاقات بين البلدين، هذا مع إصرارها على ضرورة التمسك بما ارتبط به السلطان فيصل من تعهدات بعدم التنازل عن أراضيه، هذا فضلاً عما يمكن أن تحصل عليه من نفوذ أدبي ومادى في السلطنة نتيجة لاستمرار حكومة الهند في دفع الراتب السنوى لسلطان مسقط.

وعند ما حاولت فرنسا إقامة مستودع للوقود في مسقط، كانت وجهة النظر البريطانية واضحة بالنسبة لهذه المسألة، فقد تسامل كيرزون عن دواعى ذلك، لأن السفن الفرنسية ليست كثيرة التردد على الليناء، بل إنه ربما لا تمر سفينة واحدة طيلة العام... «ومثل تلك السفينة لا يمكن أن تعدم وسيلة للحصول على الوقود، بل إننا نسمح عن طيب خاطر بأن تزود تلك السفينة من محطاتنا... إن فرنسا تنظر إلى حصولها على محطة الفحم نظرة أكثر عمقاً، إنها تريد أن تتطلع إلى مركز سياسى مساو للانجليز في غرب آسيا، فإن مستودع الفحم قد يعنى شيئاً آخر في الغد»^(٤): والواقع أن كيرزون كان متضامناً للعالية، فإن فرنسا يمثلها في

Ruete, The Al. Bu-Said Dynasty, p. 12. (١)

I.O.L. Pol. and Sec. Dep., B. 129, Memo. Muscat, 1901. (٢)

I.O.L. Pol. and Sec. Dep., B. 14, No. 1, Zanzibar Agency and Consulate Expenses A.W.M., 17th August 1878. (٣)

(٤) د. جمال زكريا قاسم: الخليج العربى ص ٣٣٦.

مسقط قنصل ، ولا يمكن دون رعايا أو تجارة ، ورغم ذلك تؤكد الحقائق أنها مرتبطة بالسلطان بعهدة على غرار للعاهدة البريطانية . ورغم حماس كيرزون الزائد ، فإن حكومة لندن كانت تنظر إلى سلطان مسقط باعتباره حليفاً مستقلاً ، وتمتدح بقوة التصريح المشترك لعام ١٨٦٢^(١) .

وفي ١٨ فبراير ١٩٠٠ خضع السلطان للضغط البريطاني ونتيجة لتهديده بالحصار البحري ، وفي ٢٢ فبراير قابل مسيو كامبون لورد سولسبوري عن الطريقة التي عومل بها الموضوع مما أدى إلى إثارة حفيظة الحكومة الفرنسية ، إلا أنه أوضح أن سلوك الأدميرال كان قانونياً تماماً^(٢) .

ولما كان من الضروري إقرار العلاقات بين الحكومتين الانجليزية والفرنسية فقد توصلت الحكومتان في ٤ مايو ١٨٩٩ إلى اتفاق يقضى بأنه طالما أن مركز الحكومة الفرنسية مساو لمركز الحكومة البريطانية في مسقط ، فإنه من الممكن لفرنسا أن تحصل على مستودع للوقود في السلطنة مثل ما لالبحر^(٣) . وحاول سولسبوري في هذه الفترة إرضاء فرنسا ، فمرض عليها اختيار أحد المواقع في خليج الكلا على ساحل حضر موت ليكون محطة للوقود ، وقد وافقت الحكومة الفرنسية ، على هذا العرض في ١٧ أغسطس ١٩٠٠^(٤) .

وقد سقنا هذا الموجز للعلاقات الانجليزية الفرنسية بالنسبة لمسقط كي يكون واضحاً أثر هذه العلاقات على تجارة الأساحة في الخليج العربي بصفة عامة وفي مسقط بصفة خاصة .

(١) Philip Graves — The Life of Sir P. Cox, p. 91.

(٢) I.O.L. Pol. and Sec. Dep. B. 119, Memo. by Sir Lee — Warner on the Lease to France of a Coaling Station in Muscat, 1900.

(٣) Rouire, La question de Golfe Persique, pp. 363-370.

(٤) د : جمال قاسم — المصدر السابق ص ٣٦٧ .

موقف شركات الأسلحة في مسقط :

أما بالنسبة لموقف التجارة نفسها ، فقد أبلغ الماجور Trevor عن نشاط واسع في تجارة الأسلحة في مسقط ، فإن كساد التجارة في أكتوبر ١٩١٠ لم يستمر طويلاً ، فقد باع لاجاس كل الأسلحة والذخائر الموجودة في مخازن شركة M.M. Baijeot et Cie بأثمان منخفضة جداً ، كما باع ممثل شركة M. Kevorkoff كل ما في مخازنه بنفس هذه الأثمان المنخفضة . كما أن M. Lapigne ممثل شركة Compagnie de L'Inde et de L'extrême Orient حاول التخلص من مخازنه قبل نهاية العام في ٧ ديسمبر^(١) . كما أن M. Néauber ممثل شركة Goguyer حاول إنهاء أعماله . ووسط كل ذلك بدا التاجر على بن موسى الوحيد الذي بقيت تجارته مزدهرة . فقد كانت له مستودعات في موانئ أخرى في عمان ، وكذلك لأنه اشترى كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر من مخازن Baijeot et Cie^(٢) .

أما سلطان مسقط ، فقد ساءت أحواله المالية كثيراً ، وبدأ ضعفه واضعاً أمام على موسى ، بل إنه تورط بالفعل في مسائل مالية مع هذا التاجر^(٣) . وقد حاول على موسى ومعه أحد التجار الآخرين اسمه سيد يوسف استغلال الفرصة ، وطلباً منه الموافقة على منحهما التزام إدارة جمارك عمان في مقابل ٢٥٠,٠٠٠ ريال مع ضمان مقدم ضخيم ، ومبلغ شهري محدد^(٤) .

Major Trevor to L.C. Cox, 19th Nov. 1910.

(١)

I.O.L., B. 196, p. 17.

انظر :

Major Trevor to L.C. Cox, 11 Dec. 1910, 1960/10.

(٢)

I.O.L., B. 196, p. 17.

انظر :

L.C. Cox to Gov. of India, 11 Dec. 1910.

(٣)

I.O.L., B. 196, p. 17.

انظر :

L.C. Cox to Gov. of India, 30 Dec. 1910.

(٤)

I.O.L., B. 196, p. 17.

انظر :

ونتيجة لتدهور الأحوال المالية للسلطان ، فإنه طالب من الحكومة قرضاً من ١٣,٠٠٠ ريال تستعاد من راتبه ، وقد أوصت حكومة الهند بالموافقة على طلبه ، وفي نفس الوقت أوصت بعدم تشجيع مسألة منح الالتزام الخاص بالجمارك^(١) ، وقد وافقت الحكومة البريطانية على ذلك ، واقترحت أنه يجب إضافة شرط لاتفاقية القرض بأنه لا يعطى التزام من هذا النوع لأي شخص^(٢) . وقد وافق السلطان على هذا القرض من ١٣,٠٠٠^(٣) ، وهكذا أمكن التغلب على المشكلات المالية التي واجهت السلطان .

إلا أن مشكلات أخرى بدأت مع شركة Goguyer ، فقد غادرت السفينة فتح الخير ميناء مسقط وانجحت إلى قطر وعلى ظهرها شحنة من الأسلحة والدخائر في ٢١ نوفمبر ١٩١٠ إلا أنه نتيجة للمراقبة الدقيقة من السفينة الحربية البريطانية Espiègle فإن السفينة فتح الخير اضطرت إلى العودة إلى مسقط في ١٦ يناير سنة ١٩١١ دون أن تستطيع إزال شحنتها (٢٠٠٠ بندقية) . وقد قدمت الشركة الفرنسية احتجاجاً بأن السفن البريطانية اعترضت السفينة فتح الخير ومنعتها من الإبحار إلى قطر ، ووصلت إلى حد تعريضها لخطر الغرق ، كما منعت عنها المياه ، ومواد التموين ، كما منعتها من التاجرة في الأماكن المباح فيها التجارة ، وطالبت الشركة بمبلغ ٦٠,٠٠٠ ريال كتعويض عن الخسائر التجارية^(٤) .

(١) Telegram from Viceroy, 8 June 1911.

I.O.L., B. 196, p. 17. انظر :

(٢) Earl of Crewe, telegram 9 June 1911, 159/11.

I.O.L., B. 196, p. 17. انظر :

L.C. Cox to Gov. of India, 16 January 1911.

I.O.L., B. 196, p. 17. انظر :

(٤) Major Trevor to L.C. Cox, 20 Jan. 1911.

I.O.L., B. 196, p. 18. انظر :

وقد نقلت للسألة إلى الأدميرالية ، وتبين — من وجهة النظر البريطانية — أن الإتهامات كلها لا أساس لها ، فإن السفينة فتح الخير وضعت فعلا تحت المراقبة ، وذلك لاتخاذ إجراءات الحصار البحرى عند إنزال الأسلحة منها ، ونتيجة لذلك ، فإن كل الرؤساء على الساحل . . . الواحد تلو الآخر كان يطلب من السفينة أن تترك المنطقة . ولم تقم السفينة الحربية *Espiègle* بتهديدها مطلقاً . كما أعلن السير سليد Slade بالنسبة لذلك « أنه يبدو فشلاً لسياسة الحصار البحرى إذا ما نجحت محاولة شركة M.M. Baijeot et Cie في ذلك ، لأن فتح الخير سوف تستأجر بعد ذلك لآى أفغانى يريد أسلحة عبر الخليج » (١) .

وتم اتصال بين المأجور Trevor والفصل الفرنسى فى مسقط M. Jeannier على أساس رفض المأجور لإدعاءات الشركة الفرنسية . وعند هذا الحد انتقلت المسألة إلى الحكومة الفرنسية (٢) . وقد نقل M. Cambon شكوى الشركة إلى السير جراى فى ٢٨ مارس ١٩١١ ، إلا أنه تلقى رفضاً كاملاً لكل اتهامات الشركة (٣) وهكذا انتهت المسألة ، بعد أن أكدت نجاح سياسة الحصار ، وقدره السفن الحربية البريطانية على فرض الرقابة على سفينة فرنسية تحمل شحنة من الأسلحة ، ومنعها من إنزالها فى أى من موانئ الخليج ، هذا مع عدم اتخاذ أى إجراء عس حقوق العلم الفرنسى المرفوع عليها .

شرعية التجارة فى مسقط :

أما الوضع فى مسقط فكانت تحكمه حقيقة أن السلطان كانت له معاهدات

Admiral Slade to Admiralty, 5 Feb. 1911. (١)

I.O.L., B. 196, p. 18. انظر :

M. Jeannier to M. Trevor, 8 Feb. 1911. (٢)
Major Trevor to M. Jeannier, 5 Feb. 1911.

I.O.L., B. 196, p. 18. انظر :

Sir E. Grey to M. Cambon, 10 April 1911. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 18. انظر :

تجارية مع الولايات المتحدة في عام ١٨٣٣ وفرنسا ١٨٤٤ وبريطانيا ١٨٦١ ، ولا شك أن وضع أية قيود خاصة على التجارة في الأسلحة من وإلى أراضيها تحتاج إلى تمديدات في شروط تلك المعاهدات ، كما أنه كان هناك تصريح تجاري^(١) كان قد أصدره السلطان تركي بن سعيد لصالح هولندا في عام ١٨٧٧^(٢) .

وللإحاطة أن هذه المعاهدات والاتفاقيات التجارية كانت لانضع المراقيل أمام تصدير واستيراد البضائع المختلفة ، هذا بالإضافة إلى أن المركز الدولي لسلطنة مسقط كان محمداً بتمتضي التصريح الإنجليزي — الفرنسي المشترك والصادر في مارس ١٨٦٢ ، والذي كان يتيح لفرنسا مركزاً مساوياً لمركز بريطانيا في مسقط ، ولذلك هدفت السياسة البريطانية إلى التخلص من هذا التصريح^(٣) .

والواقع أن التجارة في الأسلحة كانت تسبب الكثير من المتاعب للحكومة البريطانية في السنوات الخمس التي سبقت الحرب المالية الأولى ، وكانت هذه الأسلحة تستورد من أوروبا حيث تصدر إلى سواحل بلوخستان وفارس ، ثم تنقل بعد ذلك إلى أفغانستان ومقاطعات وسط آسيا مما أثار القلاقل والاضطرابات — بالنسبة لبريطانيا — على الحدود الشمالية الغربية للهند^(٤) . ولقد بدأت تجارة الأسلحة منذ عام ١٨٢٤ ، ولكن لم تنتبه الحكومة البريطانية إلى خطر هذه التجارة إلا في أثناء الحرب الأفغانية الثالثة ، وأدركت أن وجود هذه الأسلحة مما يشجع على الثورة في حدود الهند الغربية^(٥) ومنذ عام ١٨٨٠ اتخذت حكومة الهند خطوات تعهيدية لمنع مرور الأسلحة في حدودها ، ومنعت تجارة الأسلحة بصفة عامة في كل مكان على

(١) I.O.L. Political Dep., 8 182, Arms Traffic at Muscat.

I.O., 15th Feb. 1911. انظر :

(٢) د . د . جال زكريا قاسم - المصدر السابق ص ٣٨٠ .

(٣) I.O.L., B. 196, p. 18.

(٤) Paul Harrison, The Arab at Home, p. 96.

(٥) جان بيشون — بواعث الحرب المالية الأولى في الشرق الأدنى وموجز لتاريخ حلول أوروبا في هذا الشرق — تعريب محمد عزة دروزة ص ٢٧

سواحل الخليج العربي (١) .

وعلى الرغم من أن مؤتمر بروكسل الدولي الذي عقد في عام ١٨٩٠ قد وجه ضربة قاضية لتجارة الأسلحة في أفريقيا ، فإن منطقة الخليج لم تكن ضمن نطاق هذا المرسوم ، وكان تهريب الأسلحة يتزايد تزايداً ملحوظاً حتى عام ١٨٩٢ ، فقد بلغ عدد البنادق المصدرة إلى مسقط في ذلك العام ١١,٥٠٠ بندقية ، ومن هنا كانت توزع على بقية أمحاء الخليج ، وقد تضاعف هذا الرقم عدة مرات في السنوات التي تلت ذلك . وقد سببت هذه الأسلحة الكثير من المفاق للسلطات الإنجليزية (٢) .

وفي غضون ذلك الوقت ، عقدت الحكومة البريطانية اتفاقات لتحريم التجارة في الأسلحة مع إمارات الخليج ، ففي عام ١٨٩٨ عقدت اتفاقاً مع البحرين ، وفي عام ١٩٠٠ عقدت اتفاقاً مماثلاً مع الكويت وكذلك مع شيوخ الساحل المهادن في عام ١٩٠٢ .

وكان سلطان مسقط قد وافق في عام ١٨٩٨ على منع تصدير الأسلحة من مسقط إلى الهند وفارس حيث كان استيراد الأسلحة إليها بعد عملاً غير مشروع ، كما فوض السفن البريطانية في تنفيذ هذا المنع . إلا أنه تجدد الإشارة إلى أن استيراد الأسلحة إلى مسقط أو إعادة تصديرها باستثناء البلدين المذكورين لم يكن محرماً . ونتيجة لذلك أصبحت مسقط مركزاً لتجارة الأسلحة لكل منطقة غربي آسيا ، وكانت البنادق والذخائر ترد إليها من أوروبا بكميات ضخمة ، ومن هناك توزع على سواحل الخليج .

وكانت المصانع البلجيكية والألمانية والفرنسية والإنجليزية هي التي تقوم بتصدير هذه الأسلحة إلى مسقط . وقد بلغ حجم هذه التجارة قدرأ كبيراً ، ففي عام ١٩٠٧ وردت إلى مسقط ٢٤,٩٢٧ بندقية — قيمتها ١١٢,٣٣٨ جنياً ارتفعت في عام ١٩٠٨ إلى ٨٧,٦١٠ بندقية قيمتها ٢٧٩,٥٥٠ جنياً ثم انخفضت إلى ٨٥,٨٢٠

I.O.L. Pol. Dep., B. 182, Arms Traffic at Muscat.

(١)

Richard Coke, The Heart of the Middle East, p. 136.

(٢)

بندقية في عام ١٩٠٩ قيمتها ٢٣٧,٦٤٤ جنيهاً ، ثم انخفضت القيمة سنة ١٩١٠ إلى ١٠٣,٨٦٤ جنيهاً وقد ساهمت المصانع البلجيكية وحدها بأكثرها من نصف حجم هذه التجارة .

ولقد كان لهذا الفيض من الأسلحة تأثيرات خطيرة على الحدود الشمالية الغربية للهند ، حتى أن حكومة الهند أوضحت أنه قد نشأت هناك حالة « قلبت ميزان القوى ، وشكلت تهديداً خطيراً للسلام » .

ولقد أنفقت بريطانياً نحو ربع مليون جنيه في إجراء منع التجارة في الأسلحة حتى عام ١٩١٠ ، ولقد قللت هذه الإجراءات بالفعل من حجم هذه التجارة كما تبين من الأرقام السابقة ، إلا أنه بدا واضحاً أنه إذا لم يتم ضبط التجارة في المنع — مسقط — فإنه لا يمكن القضاء على هذه التجارة تماماً^(١) ، خصوصاً بعد أن تبين فشل محاولات الوصول إلى اتفاق مع فرنسا — عن طريق تبادل المصالح — من أجل منع تجارة الأسلحة في مسقط . وقد قدم الكولونيل كوكس مقترحات ترمي إلى محاولة التفاهم مع سلطان مسقط ، وأنه يمكن منحه تعويضاً مالياً للحد من تصدير الأسلحة من مسقط إلى الموانئ الأخرى في الخليج . كما قدم كوكس نظاماً مقترحاً للبرور ، يشرف عليه ضابط بريطاني ، وأن أي قارب لا يحمل تصريحاً للبرور مهما كانت وجهته ، فإن من حق السفن البريطانية الإستيلاء عليه حتى في مياه مسقط .

وقد نزل هذا المشروع إلى وزارة الخارجية ، وكان السير جراي مستعداً للدوافقة عليه طالما أنه في حد ذاته لا يتعارض مع المعاهدة الفرنسية ١٨٤٤ ، وأكثر من ذلك ، كان مستعداً لمواجهة الاحتجاج المتوقع من الحكومة الفرنسية إذا ما نفذ هذا المشروع .

إلا أنه كان مفهوماً أن هذا المشروع لبس إلا نوعاً من السيطرة على التجارة طالما أن فرنسا لا تريد الموافقة على منها ، إلا أنه كان مفهوماً أيضاً أنه لا يجب

اللبوء إلى ذلك إلا عند ضياع آخر أمل في الوصول إلى تسوية ودية مع فرنسا ، وكما تبين فإن تلك المفاوضات المتقطعة كانت بلا نتيجة ، حتى أن المشروع الذي قدمه كوكس في يناير ١٩١٠ للتعامل مع مستقط مباشرة بدأ تنفيذه بالفعل .

وكان السلطان في حالة مالية سيئة ، ويجب أن نتذكر أنه كان قد تفاوض مع أحد كبار تجار الأسلحة وهو على موسى الذي عرض عليه مبلغاً ضخماً وراتباً شهرياً في مقابل الحصول على إمتياز جمارك عمان . إلا أنه أمكن تلافى ذلك عندما قدمت خزانة الهند ١٣,٠٠٠ ريال كإعانة سريعة للسلطان .

وقد اشتكى السلطان في ديسمبر ١٩١٠ للممثل السياسي الماجور Trevor لحرق قاربين له في نهر جالنج وقد دافع الماجور عن ذلك ، وأرجعه إلى السلوك السيئ من البحارة ، كما أضاف أنه من المرغوب فيه الوصول إلى ترتيبات دائمة ومرضية مع السلطان . وهناك سبب آخر شجع المضي في هذا السبيل ، وهو تحول السلطان من اتجاهه المحايد بالنسبة للتجارة إلى التدخل الفعلي في سيرها ، فقد بدا إلى حد ما أنه وقع في أيدي كبار تجار الأسلحة ، وبصفة خاصة على موسى ^(١) .

وفي أبريل ١٩١١ ، أرسل السلطان أحد قواربه لنقل أسلحة من أحد موانئ عمان إلى ميناء آخر ^(٢) ، وفي ٥ ، ٦ ، ٧ أبريل أسرت السفينة الحربية Espiegle ثلاث قوارب في أعلى الخليج وجنوبي صحار تحمل أسلحة وذخائر تصل في مجموعها إلى ٣٠٠ بندقية و ٦٦٨٠٠ طلقة ^(٣) . ولم تسكن القوارب ترفع أية أعلام ، إلا أنها كانت تحمل تصاريح مرور موقعة من السلطان ، ويبدو أنه منح هذه التصاريح إلى على موسى دون توقيع ، وأن الأخير قد استوفى ياناتها بالنسبة لأكمية الشحنة .

(١) L.C. Cox to Gov. of India, 28 April 1911.

I.O.L., B. 196, p. 27. انظر :

(٢) L.C. Cox to Gov. of India, 1st Sept. 1911.

(٣) Commander-in-Chief, East Indies to Gov. of India. Telegram, 12th April 1911.

I.O.L., B. 196, p. 27. انظر :

وقد غرقت القوارب الثلاثة نتيجة لطقس السيئ أثناء الجزر . وقد اشتكى السلطان إلى كوكس على أساس أن الاستيلاء على القوارب قد تم في المياه الإقليمية وعلى بعد نحو ثلاثة أميال من الساحل ، إلا أن كوكس قرر بأن القوارب لم تكن داخل المياه الإقليمية .

كما كان لرأى كوكس تأثير كبير بالنسبة لهذه الحادثة على الحكومة ، وذلك بالنسبة لسياستها في المستقبل تجاه السلطان : هل تدعم الحصار وفي نفس الوقت تهمله ؟ أم هل يمكن بذل مجهود آخر للحصول على معونة السلطان وارتفاعه من برائن التجار ؟ . . . كما تبين بعد ذلك تم اختيار الطريق الثاني ، ويمكن القول أن تلك الحادثة كانت البداية الفعلية — للسياسة الجديدة^(١) .

وقد اقترح الماجور S.G. Knox — الذى خلف للماجور Trevor كممثل سياسى — لتحقيق هذه السياسة ، أن يصدر السلطان تصريحاً بمنع تصدير واستيراد الأسلحة ، وأنه يمكن إضافة مادة إلى المعاهدة البريطانية تحرم على الرعايا البريطانيين المتاجرة في الأسلحة . . . « وإذا ما اتبعت الولايات المتحدة نفس الأسلوب ، فإن فرنسا سوف تكون في موقف انعزالي يمثل انقاساً في تجارة مكروهة حرمتها الحكومة المحلية والدول الأخرى المتحضرة . ويمكن نصيح السلطان حينذاك بأن يقدم معاهدة مرنة في موادها حتى أنها يمكنها أن تحدد على الأقل من استيراد البضائع القاتلة » .

وأضاف المقيم أنه لتسهيل العملية ، يمكن شراء مخازن التجار البريطانيين والوطنيين مع تعهدهم بعدم العمل في تجارة الأسلحة في عمان مرة أخرى ، وإذا ما قدمت نفس العروض للتجار الفرنسيين ، فإنهم من المحتمل أن يرفضوا العرض ، وهذا الرفض يعطى للسلطان الفرصة للتوصل من معاهدة ١٨٤٤^(٢) .

L.C. Cox to Gov. of India, 12th April 1911.

(١)

I.O.L., B. 196, p. 27.

انظر :

Major Knox to L.C. Cox, 12 May 1911.

(٢)

I.O.L., B. 196, pp. 27-28.

انظر :

إقامه مستودع عام للأسلحة في مسقط :

وعلى أية حال فقد شرع في وضع اقتراح الكولونيل كوكس موضع التنفيذ ،
 وكانت معظم الأسلحة تصدر من ميناء جيوتي الخاضع للفرنسيين ، ونتيجة لزيادة
 حركة مرور الأسلحة^(١) اقترح كوكس إقامة مستودع للأسلحة Warehouse في
 مسقط تخزن فيه كل الأسلحة والذخائر عند استيرادها ، ويحرس المستودع أشخاص
 موثوق فيهم تحت إشراف لجنة تتكون من ممثل للقيم والممثل السياسي في مسقط
 أو موظف بريطاني منتدب لهذه العملية ، وكل التعليمات الصادرة من المستودع
 سواء للبيع المحلي أو التصدير يحكمها نظام كامل للتدقيق والتسجيل وفي حالة التصدير
 بطريق البحر ، فإنه يجب إعطاء تصريح المرور بإشراف اللجنة السابقة . وكان
 كوكس مستعداً — إذا كان ذلك ضرورياً — للتسليم بطلب الاعتراف بالمساواة
 في اللجنة بين فرنسا وبريطانيا وأن يسمح بممثل فرنسي .

وأضاف كوكس أنه يجب أن يحاط السلطان علماً بأن نظام مستودع الأسلحة
 سوف يؤدي إلى إنقاص دخوله ، ومن ثم اقترح كوكس منحه ٥٠٠٠ ريال شهرياً
 كتعويض له ، وأنه إذا رفض ذلك فإنه يمكن أن يعرض عليه مضاعفة الإعانة
 السنوية .

وبالنسبة لسكينة الأسلحة التي في حوزة التجار في مسقط في الوقت الراهن ،
 أو المدة للتصدير فإنها داخلية في اختصاص السلطان كسألة تمس الإدارة الداخلية ،
 ويمكن إجبار التجار على إيداع شحناتهم في المستودع كي تباع تحت التحفظات الواردة
 في الاقتراح . وإذا ما فشل هذا الاقتراح ، فإنه عند الضرورة يجب شراء الشحنات
 الموجودة في الوقت الراهن بالسعر الأهلئ أو بتقييم معقول .

وأخيراً اقترح المقيم أنه من المستحسن الحصول على تعهد من السلطان بعدم
 الدخول في معاهدات جديدة مع أية قوى أجنبية دون الموافقة السابقة من الحكومة

Poincaré à Cambon, 29.5.1912, (D.D. Doc. No. 5).

(١)

البريطانية (١)

وقد وافقت الحكومة البريطانية على هذه المقترحات ، إلا أنها رأت أن مسألة تعهد السلطان بعدم الدخول في معاهدات جديدة يجب إرجاؤها ، وأن السلطان إذا ما وافق على نظام مستودع الأسلحة ، فإنه يجب عدم التنفيذ الفوري لتلاني إغضاب فرنسا ، بينما لا زالت هناك محاولات للتفاوض معها . وفي ٢٥ يوليو فوض كوكس للتفاهم مع السلطان (٢) طبقاً للمقترحات السابقة . وقد طلب كوكس منحه السلطة لتهديد السلطان إذا لم يستجب للمطالب البريطانية (٣) ، وقد تم بالفعل منحه السلطة المطلوبة ، وفي ١٩١١ بدأ كوكس في تنفيذ العملية (٤) .

وقد أبدى السلطان رغبته في المحافظة على العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية طالما ظل سلوكها نحوه ودياً ، كان مستعداً لإصدار تصريح بالمنع الكامل للتجارة على الرغم من المعاهدة الفرنسية ، إذا ما ضمنت له الحكومة البريطانية نتائج ذلك ، أو أنه « يضع كل مصالحه في أيدينا ، إذا أمكننا نحن والحكومة الفرنسية تسوية المسألة فيما بيننا » .

أما بالنسبة للإجراءات المقترحة لسير العمل ، فإنه وعد بالمعونة الكاملة إذا لم تتعارض مع معاهداته مع القوى الأخرى ، وإذا ما قدمت له المعونة لمواجهة الحكومة الفرنسية عند الضرورة ، وكذلك إذا كانت الناحية المالية مجزية .

Telegram from Viceroy, 10th July 1911, 1157/11. (١)

I.O.L., B. 196, p. 28. انظر :

F.O. to I.O., 16th August 1911, 4041/11. (٢)

I.O.L., B. 196. انظر :

Telegram from Viceroy, 18 Oct. 1911, 1712/11. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 29. انظر :

Telegram from Secretary of State, 31 Oct. 1911, 4495/11. (٤)

I.O.L., B. 196, p. 29. انظر :

ولم يوافق السلطان على حجم التمييز الذى عرضه كوكس وطالب بمبلغ مجمع قدره ٨٠,٠٠٠ ريال ، وقد اعتبر كوكس أن هذا المطلب معقول ، وأنه يجب عدم رفضه تماماً^(١) .

وقد أبدت حكومة الهند قلقها من أن يقوم السلطان بالانصراف بفرنسا مباشرة وكان الاتجاه الذى رآه حكومة الهند هو إقناع السلطان بأن إقامة مستودع هو « تفصيل لترتيبات داخلية » ، وهى من حقوقه تماماً بصفته حاكماً مستقلاً ، وأنه يجب عدم استشارة فرنسا بالنسبة لذلك . أما بالنسبة لمسألة التمييز ، فقد طلبت حكومة الهند إتفاص المبلغ الذى طلبه السلطان^(٢) .

وقد وافقت وزارة الدولة على هذه المقترحات ، وأضافت « أنه من المفهوم أن ترتيباً جديداً قدمه سلطان مسقط بالنسبة لتصدير الأسلحة والدخائر ، وأنه من المعتقد أنه يمكنه إيقاف التجارة غير المشروعة مع تلك الدول التى منعت استيراد الأسلحة^(٣) كما رأى وزير الدولة أنه من الضرورى لانتظام العمل فى المستودع أن يعارض ضباط جمارك للسلطان . وقد أجاب كوكس على ذلك بأنه نافى السلطان بالفعل بالنسبة لمسألة الضباط المشرفين على العمل ، وأن السلطان يبين أوضاع ضرورة إشراف الحكومة البريطانية على العمل ، « فإنه مما يتنافى مع الكرامة جعل موظف بريطاني مشرفاً على مستودع الأسلحة فى مسقط » . ورأى كوكس أن منحة مالية سرية قد تجعل السلطان أكثر تحارباً بالنسبة لهذه النقطة^(٤) . إلا أنه بالنسبة

I.C. Cox to Gov. of India, 14th Nov. 1911, 1968/11. (١)

I.O.L., B. 196, p. 29. انظر :

Telegram from Viceroy, 28th Dec. 1911. (٢)

I.O.L., B. 196, pp. 29-30. انظر :

Telegram from Secretary of State, 1st January 1912. (٣)

I.O.L., B. 196, p. 30. انظر :

Telegram from Viceroy, 19th January 1912. (٤)

I.O.L., B. 196, p. 30. انظر :

لثمين موظف بريطاني مسئول عن مستودع الأسلحة ، فرغم الأهمية لذلك (١) ، فان حكومة الهند رأت أن السلطان لن يوافق على هذا التمين . وعلى أية حال فاذا لم يتم ذلك ، فانه يمكن وضع ترتيب آخر كأن يعين السلطان موظفاً من طرفه تحت الإشراف المشترك من الممثل السياسى وممثل كبير من طرفه كما اقترح كوكس (٢) .

وقد رأت حكومة الهند أيضاً — لتشجيع السلطان للموافقة على هذه الترتيبات منعه ٣١,٥٠٠ ريال بالإضافة إلى المبالغ المقترحة كتعويض له عن الإستيلاء على بعض القوارب. التابعة له فى أبريل ١٩١١ ، على أن يكون هذا العرض مشروطاً بموافقة السلطان على المشروع الذى قدمته الحكومة البريطانية كترتيب يتلاءم مع مصالحها .

وفى ٧ فبراير وافق السلطان على هذه الشروط ، وفى نفس اليوم تمت الموافقة على منح السلطان قرض قيمته ١٠,٠٠٠ ريال ألح فى طلبها وتمهد باعادتها على دفعات : ١٠٠٠ ريال كل شهر من إعاناته .

وفى أول مارس وصل كوكس إلى مسقط ، وبدأ المباحثات مع السلطان ، وقد رفض السلطان تماماً مبدأ وجود موظف بريطاني للإشراف على مستودع الأسلحة وحق لوقت محدود ، إلا أنه اقترح كل آخر أن يقوم بمساعدة السكولونيل كوكس باختيار رجل موثوق فيه من رعاياه ، وإذا كان ذلك متعذراً ، فانه مستعد للموافقة على رجل من الهند تؤهله كفايته لذلك العمل ، وأضاف السلطان أنه سوف يطلب موافقة حكومة الهند على هذا الرجل قبل توقيع عقد العمل معه . وقد أوصى كوكس بالموافقة على هذه الترتيبات من ناحية المبدأ ، مع إيضاح أنه لن يدفع أى تعويض أو أية زيادة فى الإعانة إلا بعد الإنتهاء من كل الترتيبات . وقد أبان

Telegram from Secretary of State, 22nd January 1912. (١)

I.O.L., B. 106, p. 30. انظر :

Telegram from Viceroy, 29 January 1912. (٢)

I.O.L., B. 106, p. 30. انظر :

السلطان بأن استمرار دفع الإعانة له لن يتوقف عن التزامه بارتباطاته ، وأن للوظف الذى سيتم اختياره كمشرف على مستودع الأسلحة سيكون قابلاً للطرد للطرد من منصبه إذا ما نقض الترتيبات المتفق عليها (١) .

وكان سلوك السلطان ودياً تماماً تجاه البريطانيين أثناء هذه المباحثات ، إلا أنه أبدى رغبته مرة أخرى فى منع التجارة فى الأسلحة نهائياً فى غضون ثلاثة أشهر ، لأنه خاف من المشكلات التى قد يثيرها التجار الأجانب ومعارضتهم لنظام مستودع الأسلحة ، وأن شكاياتهم قد تثير حكوماتهم ضده . وإن كانت الوثائق الفرنسية تؤكد أن كوكس ألح على السلطان ليقوم بإلغاء معاهدة ١٨٤٤ مع فرنسا (٢) .

وفى ٢٣ مايو ١٩١٢ ، تم الإنهاء من وضع المسودة النهائية لمشروع مستودع الأسلحة . ونص المشروع على أنه « لما كانت هناك كميات هائلة من الأسلحة والذخائر مخزنة فى الوقت الحاضر دون تحفظ سليم وفى أبنية خاصة متفرقة فى مدينتنا مسقط ، وهى بهذه الطريقة معرضة لأخطار السرقة والحريق ، فنحن السيد فيصل ابن تركى سلطان مسقط وعمان متأثراً بالأسباب السابقة ، وللمحافظة على عاصمتنا ، قد وافقنا على علاج هذه المشكلة ببناء مستودع عام للأسلحة ، وذلك للحفاظ على الأسلحة والذخائر تحت احتياطات آمنة » .

وأوضح المشروع أنه يمكن البدء فى العمل بنظام المستودع فى أول سبتمبر التالى ، ونص المشروع على أنه يمكن أن تكون إجراءات العمل فى هذا المستودع كالتالى :

١ - فى أول سبتمبر التالى ، فإن كل الأسلحة والذخائر الواردة إلى داخل الأراضى التابعة لى سوف تنقل مباشرة من السفن إلى إدارة المستودع التى سيعين عليها مراقب .

(١) Telegram from Secretary of State 768/12, 5 March 1912.

I.O.L., B. 196, p. 31.

(٢) Poincaré à Cambon, 29.5.1912, (D.D.F. Doc. No. 5).

انظر : د . جمال زكريا قاسم - المصدر السابق ص ٣٨٢ .

٢ — سوف يطلب من كل تجار الأسلحة في الأراضي التابعة لى إبداع الأسلحة الباقية معهم في أول سبتمبر في ذلك المستودع ، وأى تاجر لا ينفذ ذلك سوف يتعرض — إلى جانب عقوبات أخرى — إلى مصادر شحناته من الأسلحة والواردة باسمه مستقبلاً ، إلا إذا نفذ الترتيبات السابقة تماماً .

٣ — لا يسمح بإخراج أية أسلحة من المستودع إلا بعد دفع الضرائب كاملة إلى مراقب المستودع بالطريقة المعتادة .

٤ — تنظم عملية سحب الأسلحة من المستودع ، على أن يكون ذلك بموجب تصاريح خاصة عن طريق مراقب المستودع وتوقيع من .

٥ — هذه التصاريح لا تسلم للتجار ، ولكن لتؤ كد للمشتريين أو لمحتليهم نوع الأسلحة وكميتها ومصدرها والدخاثر ، وأنها يمكن سحبها من المستودع دون اعتراض .

٦ — كل الأسلحة التى تخرج من المستودع يجب أن توضع عليها علامة المستودع والرقم المسلسل .

وفى نفس الوقت أشار الممثل السياسى إلى أن السلطان عند إصداره القانون الذى يحوى النقاط السابقة ، وإبلاغه هذا القانون لقناصل الدول الأجنبية ، فإنه يود إعطاءه تأكيداً مكتوباً بالنسبة للنقاط الأربعة التالية :

١ — تتعهد الحكومة البريطانية بتقديم كافة اللعونات الضرورية له ليواجه أى احتجاجات قد تثيرها ضده فرنسا أو أية قوى أخرى .

٢ — أنه يجب أن يكون مفهوماً أن هذه الترتيبات لا تمنح للحكومة البريطانية أو للمسؤولين البريطانيين أية حقوق فى أراضيه أكثر مما كان متبعاً قبل ذلك .

٣ — أن البريطانيين بتفاهمهم الودى معه ، قد توصلا إلى ترتيبات ملائمة بالنسبة لمعاونة حكمه ورعيته .

٤ — إن البريطانيين قد وعدوا بتعويضه بمجرد التصديق على الشروط للتفق عليها .

وقد تمت الموافقة على شروط السلطان في أول يونيو^(١) ، وفي ٤ يونيو نشر السلطان هذا القانون ، كما نشر هذا القانون أيضاً في الصحف البريطانية «والهندية»^(٢).

مسألة تعويضات تجار الأسلحة في مسقط :

على أثر صدور هذا القانون ، أعلن القنصل الفرنسي أنه يتعارض مع معاهدة ١٨٤٤ ورفض الاعتراف بانطباقه على الرعايا الفرنسيين . كما قدم تجار الأسلحة الفرنسيون شكوى جماعية لوزير الخارجية الفرنسي الذي انحصرت إجابته في إصدار التعليمات للقنصل الفرنسي بإبلاغ السلطان بأن فرنسا لا يمكنها للموافقة على التنظيمات الأخيرة إلا بعد تعويض التجار الفرنسيين^(٣) . ويمكن القول بأن استيراد الأسلحة إلى مسقط أثناء أبريل ومايو ويونيو ١٩١٢ قد وصل إلى درجة غير عادية .

وقد أبلغ القنصل الفرنسي السلطان بهذه النقاط ، وطبقاً للتعليمات المعطاة له ، كان عليه — إذا ما وافق السلطان على تعويض الرعايا الفرنسيين — أن يبلغه أن الحكومة الفرنسية سوف توافق على التنظيمات الأخيرة رغم تعارضها مع المعاهدة^(٤).

وهكذا بزغت مسألة حساسة ، وبدا — من وجهة النظر البريطانية — أنه من المرغوب فيه تلافي دفع تعويضات للتجار الفرنسيين بأي شكل . إلا أنه كان هناك اتجاه للمقاومة من جانب التجار الفرنسيين يعاونهم في ذلك القنصل والحكومة

Secretary of State. Telegram 1st June 1912. (١)

B. 196, p. 32. نظر :

Viceroy. Telegram, 7th June 1912. (٢)

B. 196, p. 32. انظر

Viceroy. Telegram, 25 July 1912, 2907/12. (٣)

B. 196, p. 33. انظر :

Viceroy. Telegram, 8th August 1912. (٤)

B. 196, p. 33. انظر :

التجار الفرنسيين أنه إذا جاء سبتمبر ولم تمثلوا للقانون فإننى سأراقب مخازنكم وأحبس كل زبائنكم ، وليست لدى الرغبة فى إئصال نفسى والرعايا البريطانيين بالأعباء من أجل مكاسب فرنسية . وقد تم تحذير السلطان بعدم إظهار أهدافه هكذا قبل اللحظة الملائمة^(١) .

وبالنسبة لما سيحدث فى أول سبتمبر ، فقد تقرر أن الشحنات المستقبلية سوف تودع فى المستودع مباشرة^(٢) ، كما تقرر عدم السماح بأى فترة بعد هذه المهلة . أما بالنسبة لكميات الأسلحة الموجودة فى الوقت الراهن ، فقد أوصى السلطان بوجود وضع حراسة حول المخازن التابعة للتجار غير الممثلين ، وأن يرفض تماماً السماح بنقل أية أسلحة سوى الى المستودع . وتم إعطاء السلطان وعداً بالمعاونة البريطانية فى كل الأمور السابقة ، خاصة وأن المصادر طبقاً للبند الثانى يجب أن تتم بالقوة .

وقد أظهرت الحكومة الفرنسية وجهة نظرها فى مذكرة إلى السفير الفرنسيين بارتى السفير البريطانى فى باريس ، وكان الموقف الذى ارتكبت عليه هو أنه بمقتضى معاهدة ١٨٤٤ ، فإن تجارة الأسلحة يجب أن تظل حرة تماماً فى مسقط ، وأن للرعايا الفرنسيين مطلق الحرية فى بيع وشراء الأسلحة من يريدون ، وأن لهم الحق فى التمسك بالحقوق التى خولها لهم المعاهدة ، والمطالبة بالتعويض نتيجة لأية أضرار تصيبهم نتيجة للقانون الأخير ، وقد تصيب التجار الفرنسيين والصناعة الفرنسية ، وأكثر من ذلك فإن التصريح الانجائزى الفرنسى يعطيهم الحق فى التجارة مباشرة مع السلطان ، إلا أنهم محافظون منهم على الصداقة مع بريطانيا مستعدون للتنازل عن هذا الحق ، ومستعدون لمناقشة أى اقتراح تقدمه بريطانيا بالنسبة للتعويضات^(٣) .

Jounard à Cambon, Doc. No. 36, 18.2.1913 (D.D.F.). (١)

Cambon à Poincaré, Doc. No. 34, 20.12.1912 (D.D.F.). (٢)

B. 196, p. 40. انظر : (٣)

Telegram from Viceroy, 27th Dec. 1912. (٣)

وقدم القنصل الفرنسي — طبقاً لتعليمات من باريس — طلباً إلى السلطان بالتعويضات ، وكذلك الاعتراضات السابقة بالنسبة لمعارضة القانون لمعاهدة ١٨٤٤ وقد أجاب السلطان على ذلك بأنه قد نقل مسؤولية التعويضات إلى الحكومة البريطانية ، وقد وافق الماجور Knox على ذلك^(١) .

وفي الثامن من سبتمبر ، حدثت حادثة هامة ، فقد طلب ممثل الشركة الفرنسية Louis Dieu تسليمه ٣٣ صندوقاً من الذخيرة ، وكان معه إيصالاً بالإيداع ، إلا أن المسئول في الجمارك رفض تسليمه الصناديق ، وقد كتب القنصل الفرنسي إلى السلطان معترضاً على ذلك ، ومطالباً بتسليم صناديق الذخيرة بعد دفع الضرائب العادية طبقاً للمعاهدة التي ارتبط بها سموه وأسلافه منذ ٦٨ سنة ، والتي لا تمنع علاقاته من القوى الأخرى ولا تمنع استقلال عمان . وكانت النصيحة البريطانية للسلطان هي أن يرفض تسليم الشحنة ، وأن يظهر تمسكه بقانون مستودع الأسلحة ، وأن يشير إلى أن الذي يهدد علاقاته بالقوى الأخرى واستقلاله هو الطريقة غير العادية التي يتوقع معها أن يوافق على التجارة في بضائع خطيرة ، والتي تنظم بيعها بمهارة فرنسا وبقية الدول المتحضرة^(٢) .

وعندئذ أجاب القنصل الفرنسي بأن التجار الفرنسيين لن يمثلوا لقانون مستودع الأسلحة ، وأن مسألة التعويضات يجب بحثها .

ورغم أن السلطان رفض وضع حرس حول المخازن الفرنسية ، فقد منع بيع الأسلحة منذ ذلك الحين^(٣) .

والواقع أن الشركات الفرنسية التي كانت تعمل في تجارة الأسلحة في مسقط

Viceroy, 3448/12, 3rd Sept. 1912.

(١)

B. 196, p. 35.

انظر :

Viceroy, 3433/12, 8th Sept. 1912.

(٢)

B. 196, p. 35.

انظر :

Viceroy, 10th Sept. 1912.

(٣)

كانت تضغط على الحكومة الفرنسية ضغوطاً شديداً لكي تستمر في ممارسة نشاطها^(١). وكانت معظم الأسلحة تصدر من ميناء جيبوتي على البحر الأحمر والخاضع للفرنسيين^(٢) ، ولا شك أن تأسيس مستودع الأسلحة في سبتمبر ١٩١٢ أدى إلى انكماش حركة التجارة في الأسلحة إلى حد كبير ، إلا أن ذلك كان سبباً في إثارة التجار الفرنسيين والشركات الفرنسية ، وتسجل الوثائق الفرنسية الاحتجاجات المتوالية من شركة الأسلحة والصيد في باريس لدى وزير الخارجية الفرنسية — قبل إقامة مستودع الأسلحة — حتى يتدخل لحماية حرية التجارة^(٣) .

ولا شك أن الحكومة الفرنسية قد أصابها قلق واضح بالنسبة لتطور الأمور ، وقد أشارت إلى أن حقوقها طبقاً للمعاهدة قد انتهكها السلطان ، وأنه إذا لم يعد الوضع الراهن Status Quo فوراً فإنها مضطرة إلى إرسال طراد إلى مستقط ، وأنها ترغب في وضع تنظيمات على أساس التعويضات ، وحق يمكن الوصول إلى هذه الترتيبات فإنه يجب إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل صدور قانون مستودع الأسلحة^(٤) .

وقد صدرت التعليمات للسفير البريطاني في باريس بالإجابة على المطالب الفرنسية بأن الحكومة البريطانية قد عازمت تماماً على معاونة السلطان في التمسك بقانون مستودع الأسلحة لأنه لا يمس الحقوق الفرنسية طبقاً للمعاهدة ، ولكنه فقط ينظم تجارة خطيرة ، وهو حق تتمتع به كل حكومة ، كما أعربت الحكومة البريطانية

Philip Graves, The Life of Sir Percy Cox, p. 142. (١)

Poincaré à Combon, 29.5.1912. (٢)

(D.D.F., Doc. No. 5).

انظر : د . جمال تاسم المصدر السابق ص ٣٨٢ .

D.D.F., Affaires de Mascate des Armées 1912-1914. Doc. (٣)
No. 6, Yee à Poincaré, 29.5.1912.

Secretary of State's Telegram 3540/12, 12 Sept. 1912. (٤)

B. 196, p. 35.

انظر :

عن ثقتها في أنه لن تقع حوادث يكون لها تأثيرات خطيرة على العلاقات بين الدولتين (١) .

الأزمة الدبلوماسية بين الحكومتين الانجليزية والفرنسية :

لقد تمسكت الحكومة البريطانية بأن أية مفاوضات مع فرنسا ستكون على أساس الموقف الراهن المرتكز على قانون مستودع الأسلحة الذي أصدره السلطان، كما أنها رأت تحويل مسألة تمويزات التجار للتحكيم . وفي ١٨ سبتمبر ١٩١٢ قام السير فرنسيس بارتى Bertie السفير البريطاني في باريس بمناقشة ذلك الموضوع مع السير بوانكاريه وزير الخارجية الفرنسية . وقد أصر بارتى على ضرورة تحويل مشكلة التمويزات إلى التحكيم ، وفي انتظار ذلك فإنه يجب تجميع كل الأسلحة في مستودع مسقط للأسلحة ، إلا أن بوانكاريه عارض فكرة التحكيم وذكر أنه من غير المقبول اللجوء إلى ذلك الحل لأن المسألة في الواقع تتعلق بمعاهدة معقودة بين الحكومة الفرنسية وإمام مسقط ، ولم تكن الحكومة البريطانية طرفاً فيها (٢) .

وحتى يمكن تلافي أية معوقات في سبيل الوصول إلى تسوية سلمية مع فرنسا ، رأت الحكومة البريطانية أنه من الممكن تأجيل تنفيذ قانون مستودع الأسلحة في مسقط إلى أن يتم تحكيم سريع بشرط أن يتعهد الفرنسيون بالتوقف عن استيراد الأسلحة في مسقط في غضون تلك الفترة ، وأن لا يصدرُوا من مسقط أية أسلحة تكون هناك بالفعل ، والسماح للسلطان بمصادرة أية أسلحة تتعارض مع ما سبق ولكن على أن تسلم لفرنسا ، وتبين أن هذه المقترحات سوف تثبط من عزية

Secretary of State, 14th Oct. 1912.

(١)

B. 196, p. 35.

انظر :

Cambon à Poincaré, Doc. No. 26, 22.9.1912, (D.D.F.)

(٢)

السلطان إلى درجة كبيرة لا متحققة من مكاسب المصالح الفرنسية^(١).

ورأت حكومة الهند أنه إذا كانت هناك ضرورة لمنح امتياز مؤقت ، فإن أفعى ما يمكن عمله هو أنه يمكن منع السلطان من مصادرة الأسلحة الفرنسية إلى أن يتم التحكيم ، وإن كانت حكومة الهند توافق على مفض على هذا الاقتراح ، لأنها تعبد أن يكون هناك تنفيذ تعسفي لقانون مستودع الأسلحة يصل إلى درجة المصادرة^(٢).

وفي ١٣ نوفمبر أوضح السير بارنى — طبقاً للتعليمات الصادرة إليه من حكومته — لوزير الخارجية الفرنسى أنه منذ صدور قانون مستودع الأسلحة لم تتم أية مصادرات الأسلحة ، وإنه لن تتم أية مصادرات إلى أن يتم التحكيم السريع . إلا أن الحكومة الفرنسية رأت أنه إلى أن يتم الوصول إلى التحكيم بأسلوب سليم ، فإن الأوضاع يجب أن تعود إلى ما كانت عليه قبل صدور قانون مستودع الأسلحة ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الحكومة الفرنسية لا تستطيع الالتزام بالتحكيم دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى^(٣).

وكانت فرنسا قد هددت في سبتمبر بأنه إذا لم تعاد الأوضاع السابقة قبل صدور قانون مستودع الأسلحة فإنها سوف ترسل طراداً إلى مسقط لحماية حقوق رعاياها ، ولقد رأت الحكومة البريطانية أنه من الضروري تدعيم قوتها البحرية في مسقط لمواجهة أية حوادث^(٤). وقد أبرق الأدميرال Bethell في ١٧ سبتمبر أن هناك أربع

Secretary of State's Telegram, 31 Oct. 1912, 4200/12. (١)

B. 196, p. 36. انظر :

Viceroy, 11th Nov. 1912. (٢)

B. 196, p. 36. انظر :

Telegram from Secretary of State, 15 Nov. 1912. (٣)

B. 196, p. 37. انظر :

Secretary of State, 12th Sept. 1912. (٤)

B. 196, p. 38. انظر :

سفن حربية مرابطة في الخليج في الوقت الحالي ، وأنه في ٣٠ سبتمبر سيكون هو نفسه في مسقط بسفينته الحربية ، وبالإضافة إلى ذلك ، فإن كل أسطول الهند — إذا ما دعت الضرورة يمكنه أن يتمركز في مسقط قبل وصول السفينة الفرنسية^(١) .

ورأت الحكومة البريطانية أنه من الأصوب أن تربط السفن الحربية الأربعة في مسقط في وقت واحد ، وقد تم تنفيذ ذلك في ٢٥ سبتمبر . وفي ٣٠ سبتمبر وصل القائد العام هناك أيضاً على السفينة High Flyer ومعه السفن الحربية Sphinx, Espiegle Pesseus, Pelorus^(٢) .

وقامت المخابرات الحربية البريطانية برصد تحركات الطراد الفرنسي Montcalm الذي قررت الحكومة الفرنسية إرساله إلى مسقط . كما اتخذت كل الاحتياطات لاستقباله بالقوة المناسبة في مسقط إذا ما وصل إليها . إلا أنه من وجهة النظر الأخرى فإن هذا التركيز للقوة البحرية البريطانية في مسقط — على الرغم من مزاياه السياسية — فإنه شل من حركة ضبط الأمن — من وجهة النظر البريطانية — في الخليج . وقد جاءت المعلومات بالفعل في نهاية أكتوبر وأوائل نوفمبر بأن جماعات تهريب الأسلحة عندما علمت بأن السفن الحربية البريطانية قد تمركزت في مسقط ، وأن قدرتها على حراسة الخليج قد توافقت مؤقتاً ، فإن جماعات التهريب هذه انتهزت الفرصة فوراً وأدعت في تهريب الأسلحة ، مما فتح مجالاً واسعاً لترويج التجارة في الأسلحة الفرنسية المصدرة . وقد أشار السير كوكس إلى أنه من الضروري تخفيف هذا التركيز الشديد للسفن البريطانية في مسقط وذلك لمواجهة ذلك الانتشار الواسع في تهريب الأسلحة^(٣) .

Telegram from Viceroy, 20th Sept. 1912.

(١)

B. 196, p. 38.

انظر :

Secretary of State, 22nd Sept. 1912, 3654/12.

(٢)

B. 196, p. 38.

انظر :

I.O.L., Pol. Dep. Secret. Memo., B. 196, pp. 38-39.
I.O., 15 Feb. 1911.

(٣)

وفي ١٣ ديسمبر علم أن الطراد الفرنسى *Montcalm* لن يصل إلى مسقط ،
ومن ثم أرسلت التعليمات لتخفيف الأسطول المربط في مسقط .

وعندما بدا أن هناك بعض الأمل في الوصول إلى بعض الترتيبات مع الحكومة
الفرنسية ، وأن هذه الترتيبات قد تؤدي إلى الخطر اللتام لتصدير واستيراد الأسلحة
من وإلى مسقط ، فإنه كان من المسلم به تعويض التجار^(١) . ولا شك أن قانون
مستودع الأسلحة هو من الناحية الرسمية إجراء داخلي في مسقط ، وهو بهذا الشكل
إجراء من قبل السلطان ، وأى تعويض لتجار الأسلحة عن خسائرهم الناتجة عن
تنفيذ هذا القانون ينبغي أن يكون من قبل السلطان ، إلا أنه كان من المستحيل على
السلطان — اضيق ذات يده — دفع هذه التعويضات . وكان من المرغوب فيه
— من وجهة النظر البريطانية — تحاشي مبدأ تعويض التجار إذا كان ذلك ميسوراً
لأن تكاليف التعويضات سوف تكون فملا على نفقة الحكومة البريطانية ، وعلى
نفقة السلطان من الناحية الرسمية^(٢) .

ومنذ صدور قانون مستودع الأسلحة ، أصر القنصل الفرنسى على ضرورة
تعويض التجار الفرنسيين ، وفي الحقيقة كانت تصلة تعليمات بأن فرنسا سوف
تسحب معارضتها للقانون المذكور إذا ما سمح ببدأ التعويض^(٣) .

وقد رأت حكومة الهند أن شراء كميات الأسلحة الموجودة في مسقط هو الشكل
الوحيد المقبول للتعويض ، وكانت الشركات الفرنسية وحدها هى التى يمكن وضعها
في الاعتبار ، وأهمها شركة *Goguyer et cit, Louis Dieu* هذا بالإضافة إلى
شركتين أمريكيتين يمكن اعتبارهما تحت الحماية الفرنسية .

وقد بحث السير كوكس هذه المسألة ؛ وقدر أنه كانت توجد في مسقط في

I.O.L. Pol. Dep., B. 182, Arms Traffic at Muscat, (١)
B. 196, p. 38.

Telegram from Viceroy, 1st Dec. 1912, 4619/12. (٢)

I.O.L. Pol. Dep., B. 182. (٣)

١٤ ديسمبر ١٢٠٠٠ رندقية و ٢٠٠٠٠٠٠ رندقية ، وهذه الأسلحة والذخائر هي حجم التعويض المطلوب . وعلى أساس التقييم المتخذ في مارس ١٩١١ فإن ثمن البندقية هو ٦٠ ريالاً ، وكذلك ٦٠ ريالاً لكل ألف رندقية ، وبهذا فإن مجموع التعويض سوف يصل إلى ٨٤٠٠٠٠ ريال ، وكان من رأى كوكس أن هذا التعويض ينطبق فقط على الأسلحة الموجودة بالفعل في مسقط ، وأن أية أسلحة أخرى خارج مسقط فينبغي بالضرورة أن تستثنى من هذا التعويض .

كما أضاف كوكس أنه إذا « ما وافقنا على شراء شحنات الأسلحة الفرنسية التي لم ترسل إلى المستودع تحديداً للقانون ، فإنه من الأصوب أيضاً شراء شحنات الأسلحة الخاصة بالتجار غير الفرنسيين ، طالما أنها قد أودعت في المستودع طواعية وإذعاناً للقانون » . وقد وافقت حكومة الهند على هذه المقترحات ، ولكنها أعربت عن اعتقادها بوجوب اشتراك حكومتى لندن والهند في دفع قيمة التعويض مناصفة^(١) .

وفي ٢٠ ديسمبر اقترح السيد إدوارد جراى الحلول الآتية بقصد تسوية ذلك الموضوع بطريقة ودية :

أولاً : تقبل الحكومة البريطانية أن تتنازل عن حقوقها في المساواة التامة بالنسبة لمعاملة البضائع الإنجليزية والفرنسية التي تمر في موانئ الجزائر ومراكش طبقاً للعادة الرابعة من الإتفاق الودى لسنة ١٩٠٤ .

ثانياً : تعترف الحكومة الفرنسية من جانبها بشرعية قانون السلطان (قانون مستودع الأسلحة) وتعهد بالامتناع عن وضع العراقيل في سبيل تنفيذه .

ثالثاً : تعهد الحكومة الفرنسية بالألا تنشر لمدة خمسة عشر عاماً تسوية ١٨٩٧ الخاصة بواردات بريطانيا من القطن في تونس والى تنص على أن الحد الأقصى للضريبة الجمركية على هذه الواردات لا يتجاوز ٥٪^(٢) .

Telegram from Viceroy, 27th Dec. 1912, B. 196, p. 40. (١)

Cambon à Poincrée, Doc. No. 34, 20/12/1912 (D.D.F.). (٢)

انظر د . جمال فاسم المصدر السابق ص ٣٨٤ .

على أن الحكومة الفرنسية عارضت هذه المقترحات وذكرت أنها تجرّها إلى التنازل عن حق مقرر لها مقابل الحصول على امتيازين ، ولكنه في الحقيقة امتياز واحد ، وأن الفائدة الأخيرة ستعود في النهاية على بريطانيا ، إذ أن التنازل عن المساواة التامة في موانئ الجزائر ومراكش لا بد أن ينطبق أيضاً على موانئ مصر . وعلاوة على ذلك فإن الحكومة الفرنسية ستفقد تجارة رابحة في مسقط ، ولذلك فإنها تقترح العودة إلى فكرة التحكيم ، ولا بد في هذه الحالة من إعطاء تعويض مناسب^(١).

والواقع أنه لم يتقرر حل نهائي لتلك المشكلة وإن كان من المعروف أن قيام الحرب العالمية الأولى قد أعطى للحكومة البريطانية الفرصة لتقوية نفوذها في منطقة الخليج العربي وأن تتخلص من جميع منافسيها بطريقة فعالة .

مصادر البحث

أولاً - وثائق غير منشورة :

India Office Library Political and Secret Library Political Department :

- B. 14
Memorandum Zanzibar Agency and Consulate Expenses (1878).
- B. 119
Memorandum by Sir Lee-Warner on the lease to France of a Coaling Station in Muscat (1900).
- B. 129
Memorandum Muscat (1901).
- B. 134
Memorandum Grant of French Flags to Muscat Dhows (1900).
- B. 135
Memo. on the use of the French Flag by Subjects of the Sultan of Muscat (1900).
- B. 151
Memo. British Interests on the coast of Arabia, Koweit, Bahrain and Katar (1905).
- B. 182
Arms Traffic at Muscat (1911).
- B. 196
Secret Memo. Arms Traffic in the Persian Gulf (1913).

ثانياً - وثائق منشورة :

- Aitchison C.u.
A Collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and Neighbouring Countries, vol. XI, Calcutta 1892.
- British Admiralty
A Handbook of Arabia, vol. I General.

ثالثاً - مراجع فارسية :

— همدانی (عبدالله رازی) :

أزمينة باستانی تار سال ۱۳۱۶ شمسی هجری (بك نقشه) ایران قدیم

۹۴ کرواور — طهران ۱۳۱۷ هـ — ش .

رابعاً - مراجع أوربية :

ذكرت المراجع العربية القليلة في حينها

- Berreby (J.J.)
Le Golfe Persique (Mer de Légende — Réservoir de Pétrole).
Paris, 1959.
- Coke (Richard)
The Heart of the Middle East, London, 1925.
- Graves (Philip)
The Life of Sir Percy Cox, London, 1951.
- Harrison (Paul)
The Arab at Home, New York, 1924.
- Philby (J.B.)
Arabia, London, 1950.
- Whigham (N.J.)
The Persian Problem, London, 1903.